تجليات فكرة "الجنون" في المسرح المصري المعاصر

أ.م.د. مايسة علي زيدان[١]

ملخص البحث باللغة العربية :

تسعى هذه الدراسة إلي تحليل عدد من النصوص المسرحية المصرية التي اتخذت من "الجنون" فكرة رئيسة لها، تمثل فترة زمنية تواكب حقبة التسعينيات من القرن الماضي.

تمثل فكرة الجنون مادة ثرية لفن المسرح بكل تجلياتها وتناقضاتها ، كلغة فنية مختلفة عن اللغة المتعارف عليها ، ساعدت العديد من الكتاب على عرض وبلورة أفكارهم وقضاياهم ، على اختلاف أنواعها واتجاهاتها.

اعتمدت الدراسة على المنهج البنيوي التكويني ، منجهاً لتحليل النص المسرحي، وتوصلت الدراسة إلي عدد من النتائج، أهمها هي :

١- تنوع الأسباب التى دفعت الكتاب لتناول فكرة الجنون ، علي النحو التالي:
- المعاناة النفسية ,والاجتماعية التي قد يتعرض لها الفرد داخل المجتمع.
- الاستبداد المهني، المتمثل فى الفساد الإداري وعدم تحمل المسئولية المهنية.
- الصراع النفسي ما بين الرغبة في إرضاء السلطة الأعلى وتنفيذ رغباتها ، وبين الإقرار بالحقيقة والواقع الفعلي.
- الحب.

٢- تعددت أشكال الجنون في النصوص، علي النحو التالي:
- الجنون الحقيقي المرضى.
- الإجبار على الجنون.
- التظاهر بالجنون.

٣- اختلفت فكرة الجنون من نص إلى آخر، باختلاف المؤلف والظرف التاريخي المرتبط بالفكرة والهدف من تناول الجنون.

Abstract

The Manifestations Of "Insanity" Idea In The Contemporary Egyptian Theater Texts

This Study Seeks To Analyze A Number Of Egyptian Theatrical Texts That Have Taken " Insanity " As Their Main Idea, Representing A Period Of Time That Coincides With The Era Of The Nineties Of The Last Century

[١] أستاذ المسرح المساعد قسم الإعلام التربوي- كلية التربية النوعية - جامعة طنطا

The Idea Of Insanity Is A Rich Subject For Theater Art With All Its Manifestations And Contradictions, As An Artistic Language Different From The Accepted Language, Which Helped Many Writers To Present And Elaborate Their Ideas And Issues, Of Different Types And Trends
The Study Relied On The Descriptive Analytical Method, As An Approach To Analyzing The Theatrical Text
The Study Reached A Number Of Results, The Study Reached A Number Of Results, The Most Important Of Which Are:

1- The Reasons That Prompted The Book To Address The Idea Of Insanity Varied As Follows:

- The Severe Psychological Suffering That An Individual May Be Exposed To Within Society.
- Professional Tyranny, Manifested In Administrative Corruption And Lack Of Professional Responsibility.
- The Psychological Struggle That Ranges Between The Desire To Satisfy The Highest Authority And The Implementation Of Its Desires, And The Recognition Of The Truth And The Actual Reality
- The Love.

2- There Are Several Forms Of Madness In The Texts, As Follow:

-Real Sick Insanity.
- Forcing Insanity.
- Pretend To Go Insanity.

3- The Idea Of Insanity Differed From One Text To Another, According To The Author , The Historical Circumstance Related To The Idea And Purpose Of Dealing With Insanity.

مقدمة

كان سلوك الإنسان - وما يزال - موضع اهتمام علماء النفس والاجتماع والدين ، في محاولة لتفسيره والوقوف على أسباب انحراف هذا السلوك عن مساره الطبيعي، ومحاولة تعديله والتحكم فيه؛ وصولاً إلى أهم أسباب الأمراض النفسية والعقلية فيما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية والوراثة وكذلك صدمات الطفولة التي تُحفر في "اللاوعي".

فالمرضى النفسيون يبدون عاجزين عن الانصياع والمواءمة مع النسق القيمي والسلوكي لمجتمعهم وجماعاتهم المرجعية ؛ فيضعف انتماؤهم له ، وتنفصم رويداً رويداً عرى ارتباطهم بهذا المجتمع، لينتهوا بالانفصال الكامل عن هذا المجتمع ، وفي المقابل لا يبدو هذا المجتمع – هو الآخر - راغباً في السماح لهم بالاندماج، أو الانضواء في نسقه، أو أبنيته ،أو القيام بأية أدوار ضمن هذه المنظومة ، فضلا عن عدم استعداد أعضاء هذا المجتمع لتقبلهم

كأنداد أو شركاء ، مما يدفع بهم خارج السياق الطبيعي للمجتمع ؛ ليحيوا ضمن سياق اجتماعي محدد ، ومنظومة إقصائية ممتدة ، وإن بدت استثنائية مؤقتة (كالمشافي أو المصحات العقلية) كآلية اجتماعية تستهدف علاجهم ؛ توطئة لإعادة إدماجهم وتأهيلهم لدور اجتماعي طبيعي مفتقد.

والكاتب - في تعرضه لتجربة إنسانية يتجلى فيها الخلل العقلي ،أو حتى بعض الاضطرابات النفسية - يحاول أن يكتشف أسرار النفس البشرية ، ويسبر أغوار اللاوعي الإنساني ، حيث تتوقف درجة انجذاب المتلقي للعمل الأدبي أو المسرحي، وتفاعله معه على مدى ملامسة هذه التجربة الإنسانية لرغباته وأحلامه وهمومه ؛ فيحدث الأثر المستهدف وتتحقق المتعة المنشودة .

فكثير من علماء النفس يؤكدون أن مصطلح " الجنون" ليس له أساس علمي ، وأنه مصطلح دارج شائع بين الناس؛ للدلالة على الخروج عن المألوف ومجافاة العقل المنطق ،وهو ما يتفق مع "المفهوم الدارج للجنون : وهو كل نمط تفكير أو سلوك يتعارض مع أنماط التفكير أو السلوك السائدة في مجتمع معين، في زمان ومكان معينين ، وهو مفهوم ذاتي – نسبى، لا يستند إلى أي معيار موضوعي" [١] وهوما يتفق مع ما تسعى إليه الدراسة الحالية ، التي تتعرض لثيمة الجنون في مفهومها الدارج المتعارف عليه في المجتمع ، بعيدا عن أي مفهوم علمي يستند إليه مصطلح الجنون .[٢]

إشكاليه الدراسة:

فكرة "الجنون" كانت ومازالت مادة ثرية لفن المسرح بكل تجلياتها وتناقضاتها ، كلغة فنية مختلفة عن اللغة المتعارف عليها ، ساعدت الكتاب على بلورة العديد من الأفكار والقضايا على اختلاف أنواعها واتجاهاتها. فكثير من الكتاب يميلون لطرق فكرة "الجنون" بطريقة رمزية للانفلات من الظرف التاريخي، أو حتى من اللحظات الراهنة وقت الكتابة والتي قد تعرضه للمساءلة والعقاب.

و"الجنون" ليس مفهوماً مطلقًا وإنما هو مفهوم نسبي ، سواء في الدراسات النفسية أو من خلال توظيفه في الأعمال الأدبية خاصة النصوص المسرحية ، فكثير من الاضطرابات النفسية والسلوك الشاذ يتحول إلى خلل واعتلال مرضي في الشخصية ، يتم تشخيصه على أنه جنون دون التفرقة بين المرض النفسي والعقلي ، فحالة التخبط والتوتر والقلق التي يعانيها الشخص المعتل لا تختلف كثيرا عن حال الفرد الطبيعي داخل المجتمع بكل قيوده و سلبياته.

---

[١] صبري محمد خليل ،الجنون بين المفهومين الدارج و العلمي ، ٦/١٧/ ٢٠١٥، **متاح علي : https://drsabrikhalil.wordpress.com/2015/06/17** ، تاريخ الدخول :**٢٠١٩/٥/٣.**

[٢] هناك العديد من المعاجم اللغوية التي تتعرض لتعريف الجنون حيث يدور الجذر اللغوي (ج ن ن) حول الستر، وهو المعنى المحوري الذي تدور حوله بقية المعاني لهذا الجذر؛ ومن ثم سميت الجنة (بفتح الجيم) لتسترها عن العيون ، وكذا الجن ، والمجنون ممن استتر عقله وصار غائبا ، وغير ذلك مما تفرع من هذا الجذر.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي :" والمَجَنَّةُ: الجنُون، وجُنَّ الرجلُ، وأَجَنَّه الله فهو مَجنُونٌ وهم مَجانينُ. ويقال به جنَّةٌ وجنونٌ ومَجَنَّة، قال: من الدارِميّينَ الذين دِماؤُهم .... شفاءٌ من الدّاءِ المَجَنةِ والخَبلِ". [٢]

كما قال ابن منظور :"جنن" جَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جَنّاً سَتَره وكلُّ شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك". [٢]

والواضح من هذه المعاني ارتباط الجذر" ج ن ن" بالستر والإخفاء، ومن هنا يكون الجنون حجبا للعقل وإلغاء له وإقصاء لحضوره .

تسعى الدراسة الحالية إلي تحليل عدد من النصوص المسرحية المصرية التي اتخذت من الجنون فكرة رئيسة لها، تمثل فترة زمنية تواكب حقبة التسعينيات من القرن الماضي. فإلي أي مدى أجاد كتاب المسرح المصري المعاصر في توظيف فكرة "الجنون " في بلورة قضاياهم وأفكارهم من خلال النصوص محل الدراسة؟. **ومن ثم ، تتحدد مشكلة الدراسة في رصد وتحليل فكرة: " الجنون " في المسرح المصري المعاصر .**

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة الحالية في أهمية الموضوع نفسه ، وهى كيفية توظيف فكرة "الجنون" في المسرح المصري المعاصر فالباحثة لم تعتمد على نص واحد فقط لدراسة ظاهرة الجنون ، إنما حاولت الاستعانة بالعديد من النصوص المسرحية لكتاب المسرح المصري المعاصر ، في فترة زمنية واحدة (تسعينيات القرن العشرين) .

ولم تتبع الباحثة - في عرض وتحليل النصوص المسرحية عينة الدراسة - الترتيب الزمنى لهذه النصوص ؛ وذلك لأن بعضها عرضت على المسرح قبل طباعتها ، وبعضها الآخر تم طباعته في إصدارين مختلفين، فـ "عيش السرايا " عُرضَ على مسرح الطليعة عام ٢٠٠١، ثم أصدرتها الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ٢٠١٦ ، كما عُرضت "سالومي" أيضا على مسرح الدولة قبل صدور مجلد الهيئة المصرية العامة للكتاب لمسرحيات " محمد سلماوى " ٢٠١٤، كذلك "مجنون لوحده" قدمتها الفرقة المركزية للإدارة العامة للمسرح التابعة للهيئة العامة لقصور للثقافة ١٩٩٧ وأُعيد نشرها مرة آخري عام ٢٠٠٣.

لذا اعتمدت الباحثة مستوى طغيان فكرة "الجنون" علي المعالجة المسرحية معياراً أساسياً لتحليل النصوص،عينة الدراسة، حيث يبدأ التحليل بـنص "مجنون لوحده"؛ الذي يمثل - مقارنةً ببقية النصوص عينة الدراسة - المستوى الأدني للجنون في المعالجة ، وينتهي بـ" حفلة للمجانين" ؛ النص الذي يمثل الذروة في معالجة فكرة الجنون ، ليكون ترتيب النصوص محل الدراسة علي النحو التالي :

١- " مجنون لوحده " - عرفه محمد - ٢٠٠٣.
٢- "سالومى" - محمد سلماوي - ٢٠١٤.
٣- "سوق الكلمات" - محمد صلاح صقر- ١٩٩٧.
٤- "العدو في غرف النوم" - هشام السلاموني - ١٩٩٥.
٥- "عيش السرايا " - سعيد حجاج - ٢٠١٦.
٦- " حفلة للمجانين" - خالد الصاوي - ١٩٩٠.

تساؤلات الدراسة :

تسعي هذه الدراسة إلي الإجابة عن التساؤلات التالية:

١- إلى أي مدى بلور الكاتب المسرحي فكرة الجنون في النصوص محل الدراسة ؟
٢- ما أسباب الجنون في النصوص محل الدراسة؟.
٣- ما أشكال الجنون في النصوص محل الدراسة؟.
٤- هل اختلفت فكرة الجنون من نص إلى آخر؟.

٥- ما دلالة العنوان وعلاقته بفكرة الجنون في النصوص محل الدراسة؟.
٦- ما العلاقة بين الجنون والبنية الزمانية في النصوص محل الدراسة؟.
٧- ما العلاقة بين الجنون والبنية المكانية في النصوص محل الدراسة؟.
٨- ما مدى ارتباط فكرة الجنون بالشخصية الرئيسة وبالشخصيات الثانوية في النصوص محل الدراسة ؟.
٩- إلي أي مدي تعمد الكاتب التعرض لفكرة الجنون في بعدها المرضي في النصوص محل الدراسة؟.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة الحالية على المنهج البنيوي التكويني ، أو التوليدي ، والذى يقوم على قراءة النص الأدبي من خلال علاقاته الداخلية. والتدرج بالبنية الدلالية في بنية اجتماعية أكثر شمولاً واتساعاً؛ فالبنيوية التكوينية تعتمد على رصد المؤثرات الاجتماعية التى تسهم في تكوين النص الأدبي، وتتجاوز النظر للنص على أنه بنية مغلقة ؛ لذا اعتمد هذا المنهج النقدي على توظيف العلاقة بين الأدب وعلم الاجتماع ، وصولاً لفهم مكنونات النص ، وهو ما يتوافق مع الدراسة الحالية ، من أن هناك علاقة وطيدة بين فكرة الجنون التى يطرحها الكاتب في نصوصه المسرحية - محل الدراسة- والظروف والملابسات التى تحكم المجتمع ، فالأدب يطرح القضايا الاجتماعية ويصيغها من خلال رؤية الكاتب لها ، فالدراسة تسعى للبحث عن البنى التى تحكم فكرة الجنون داخل النصوص المسرحية . كما تستعين هذه الدراسة بالمنهج النفسى وذلك بما يتوافق مع موضوع الدراسة والتعرض لفكرة "الجنون" .

الإطار المعرفي للدراسة :

"الجنون" بين الاضطراب النفسي والمرض العقلي :

تؤكد الدراسات النفسية أن مفهوم الذات - وهو أحد المتغيرات النفسية التي توجد لدى كل فرد منا - هو أساس تكوين الشخصية الإنسانية ، وهو من أهم العوامل التي تؤثر في السلوك الإنساني ، فقدرة الفرد على إدراكه لذاته هي التي تحدد مدى تقبله لهذا الواقع المحيط به ، وكيفية التعامل معه ، والتأثير فيه ، وبالتالي نجاحه في مجالات الحياة المختلفة.

ومن المسلم به - في الدراسات النفسية - أن الشخص المريض أو المختل عقليًا لا يمكن إرجاع سلوكه المرضي إلى الصدفة البحتة ، أو حتى ارتباطها بموقف معين، دون الأخذ في الاعتبار التاريخ المرضي له، و طبيعة ونوع العلاقات الاجتماعية السائدة في محيطه الأسري ، أو المجتمع الذي يعيش فيه والذي يؤثر فيه ويتأثر به .

ف"الطفل يمر من خلال عملية النمو النفسي بمراحل متتابعة ، يسعى خلالها - وفق نظرية التحليل النفسي - إلى إشباع مرتبط بمرحلة النمو، ومرتكز على مناطق معينة في جسده ، وينتقل الطفل من مرحلة إلى أخرى. فإذا كان الإشباع معتدلا مر إلى المرحلة التالية ، وإذا حدث إفراط أو تفريط في الإشباع يبقى في المرحلة مدة أكبر، أملًا في الحصول على الإشباع حال نقصه، أو استمرارًا في الحصول عليه حال الإفراط فيه، وهو ما يعرف بالتثبيت على تلك المرحلة . وعندما يكبر الفرد ويمر بموقف صدمي - ينطوي في دلالته على الموقف الأصلي

الذى حدث فيه التثبيت - يحدث ما يعرف بالنكوص إلى مرحلة التثبيت ، ووفق تلك المرحلة تتحدد ميكانيزمات الدفاع التي يستخدمها الفرد كما يتحدد نوع المرض العقلي أو النفسي الذى يصاب به".[١]

ولا يمكننا إنكار وجود تداخل وتضارب واضح في الإشارة إلى مصطلح "الجنون " ، ما بين المرض النفسي، والمرض العقلي، مثل: جنون العظمة أو الاضطهاد ، فمن يعاني من هذا المرض هو مريض نفسي ، ورغم ذلك يطلق عليه: "مجنون "، كما أن هناك العديد من الأفراد الذين يعانون الخلل العقلي ويطلق عليهم- أيضا-: "مجانين".

هناك - إذن- تناقض كبير في استخدام المصطلح النفسي "الجنون"، فهناك العديد من علماء النفس والمهتمين بهذا المجال أشار إلى أنه لا يوجد ما يسمى بمصطلح " الجنون" في الدراسات النفسية، بينما - في المقابل- نجد عدداً كبيراً من الدراسات والبحوث النفسية تتعرض - بالدراسة والتحليل- لهذا المصطلح ، وعدداً آخر أفرد له مساحات كبيرة لمناقشته وتصنيفه ، في محاولة واضحة للتفريق بين كل صنف على حدة.

كما أن مصطلح "الجنون" يتم استخدام في المجالات القانونية ؛ حيث يشير "فرج عبد القادر طه" إلى أن الجنون insanity هو" لفظ قانوني- طبي" ، يُستخدم عادة في المجالات القانونية التي تتعامل مع مرضى عقليين مرتكبين لجرائم تخضع للقانون والتجريم، وهذا اللفظ نعني به طبيعة الحالات المرضية التي تعاني من أمراض عقلية تؤدي إلى انتفاء عامل المسئولية الجنائية في سلوكهم وأفعالهم".[٢]

ومن هنا " يصبح ضبط النفس والتحكم فيها وفي انفعالاتها وفي أهوائها، شيئًا شديد الأهمية للشخص ، حتى يتحقق له السواء النفسي والتوافق الاجتماعي ؛ حيث إن الانفعال الشديد الذي يتجاوز حدود "المعقول"، يهز أركان الشخصية بل يكاد يمزقها ويذهب بعقلانيتها ومنطقتيها ، فيصبح تصرفها مضطربًا وسلوكها شاذًا وضارًا بها وبغيرها ".[٣]

ثم يتحول هذا الاضطراب والسلوك الشاذ إلى خلل واعتلال مرضي في الشخصية ، فيخرج من عداد الأشخاص الطبيعيين إلى شخصية معتلة نفسيًا وعقليًا. فهذه الاضطرابات هي بدايات المرض النفسي والعقلي ، لذا "يستخدم الناس جميعا – صغارًا أو كبارًا أصحاء ومعتلين نفسيا – أنماطًا سلوكية تسمى الآليات أو الميكانيزمات الدفاعية ، من شأنها التخفيف من حدة القلق والتوتر، إلا أنهم يختلفون فيما بينهم من حيث قدر استخدامهم لها ،إذ يستخدمها الأفراد العاديون بدرجة معقولة فتعينهم على التخفيف من وطأة الضغوط والإحباطات والصراعات ومشاعر الذنب التي يتعرضون لها وعلى التنفيس عن مشاعرهم وانفعالاتهم" .[٤]

ويرى البعض أن هناك علاقة قوية تربط بين العقل و"الجنون"، وأن العقل و"الجنون "وجهان لعملة واحدة، فكلاهما لسان الآخر ويدعمه ، فالمغامرة لا تتحقق إلا بطرق باب

---

[١] **مقابلة مع** أ.د حمدي المليجي أستاذ علم النفس التربوي بكلية التربية جامعة طنطا ،بمكتبه بتاريخ ٢٠١٩/٥/٢.

[٢] فرج عبد القادر طه ، **موسوعة علم النفس والتحليل النفسي**، (القاهرة : الأنجلو المصرية ،٢٠٠٩) ،ص ٤٥٨.

[٣] فرج عبد القادر طه، **علم النفس وقضايا العصر**، (القاهرة :عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٩)، ص١٨٩.

[٤] مجدى محمد الدسوقي، **دراسات في الصحة النفسية** المجلد الاول ،(القاهرة : الانجلو المصرية ، ٢٠٠٧) ص ص ٢٥٩-٢٦٠.

الجنون ؛ لذا " يُنظر إلى الجنون على أنه دعامة للعقل، وتجسيد له في منعطفات التفكير القصوى، ومزية حافظة لوعائه . مثلما يتحتم النظر إليه كشكل من أشكال العقل ووجهة النظر فيه ؛ يركن إليه ويلوذ به في منطقة التماس ؛ ومن ثم ليس الجنون انكسارًا للعقل ، بل انتصارا له ، طالما هو قوته الحية والحيوية ، وفقاً لعبارة ميشيل فوكو".[١]

العلاقة بين المسرح والجنون:

كان لظهور "فرويد" - في القرن التاسع عشر، ومحاولاته لتشريح النفس البشرية، وشرح دور العوامل اللاشعورية والأحلام في تفسير سلوك الإنسان، ونشأة الأمراض النفسية والعقلية - أكبر الأثر في انشقاق "أندريه بريتون" عن الدادية وتحوله إلى السريالية ، فقد درس "بريتون" الطب واهتم اهتمامًا بالغًا بنظريات " فرويد" في عالم الطب النفسي ، خاصة نظرياته المتعلقة بالأحلام والرؤى واللاشعور ، ولم يكن "أندريه بريتون" الكاتب الوحيد الذى اهتم بكتابات" فرويد" ، فقد تأثر به العديد من كتاب المسرح ، فقد كانت نظريات " فرويد" المختلفة عن النفس البشرية، وجوانبها الخفية، دافعًا قويًا للتخلي عن الشكل الفني التقليدي للمسرحية والبحث عن قوالب وأشكال فنية جديدة تتوافق مع الأفكار، والنظريات النفسية الحديثة التي تهتم بمكنون الشخصية الإنسانية، مع مواكبة التغيرات الاجتماعية، والسياسية ،والثقافية في المجتمع.

ويشير "سكوت وليم" إلى "اهتمام كثير من الدراسات بموضوع "الجنون" كنوع من الإعاقات النفسية، والاجتماعية ،التى لابد وأن يسلط عليها الضوء وتكون مركز الاهتمام، خاصة الدراما المسرحية واعتبارها جزء من العلاج النفسى؛ لتثقيف الجمهور عن كيفية التعامل مع هؤلاء المعاقين ودور المسرح في تعاطف الجمهور معهم ودعمهم لهم"[٢] .

ويشير "محمد عناني" ،إلى أنه من أهم الاتجاهات الحديثة في المسرح تطور مفهوم الشخصية في "علم النفس" الحديث فـ" نجد أن "علم النفس" غزا الأدب بصور لم يسبق لها مثيل ، وليس هذا - بالطبع - مقصورًا على تناول الأدب للحالات النفسية المرضية ، أو على استخدام تكنيك تيار الشعور واستكشاف مجاهل اللاشعور، بل يشمل ذلك مفهوم "الشخصية الإنسانية" بصورة عامة ؛ إذ لم تعد الشخصية ذلك البناء الثابت الراسخ الذي لا يتغير إلا في مظاهر السلوك أو الفكر، بل أصبحت تعتبر تيارًا مشحونًا باللحظات النفسية الجارية مجرى الشعور".[٣]

وهناك العديد من النصوص المسرحية التي قدمها المسرح المصري الحديث والمعاصر، والتي تتوسل - في بنائها الأساسي- بتيارات اللحظات النفسية ، وتعتمد اعتمادًا كليًا على التقاء هذه اللحظات الخاصة في حياة أناس آخرين ، يعيشون في الظروف نفسها، وتمضي بهم هذه التيارات النفسية إلى نقاط الالتقاط نفسها ، فمهما اختلفت الشخصيات فالنهاية واحدة .

---

[١] فيصل أبو الطفيل ، **الحمق والجنون في مرايا الأدب العربي القديم : السمة المفارقة لبلاغة العقل المعكوسة** ،(الرباط : المجلس الأعلى للغة العربية ، ٢٠١٨)، ص ٢٧٩.

[٢] Scott Matthew Wallin: "Madness in the Making: Psychosocial Disability and Theater", **Unpublished PHD**. (Berkeley :University of California, 2014).

[٣] محمد عناني ، **من قضايا الادب الحديث** ،(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥)، ص ٤٠٣.

وتؤكد سماح حكواتي أن " دور الأدب في رفد "علم النفس" بمادة قرائية تحليلية ثرية في ضوء تنوع عقد شخصياتها وعصاباتها ، فبمقدار ما تقترب هذه الشخصيات الفنية من الصدق الواقعي الانفعالي الإنساني تقترب بحوث النقد النفسي من الغنى والجدوى ، فليس من الإبداع أن يبني الكاتب عمله وفق معطيات علم النفس ، إنما يوجه بالبناء النفسي للشخوص الفنية - معطيات علم النفس - بنأء عفوياً غير مسبوق، أو مفروض على النص؛ فيلوي عنق الإبداع فيه ".[١]

"فالفنان ليس معالجًا للثيمات - من حيث هي معانٍ مجردة ،أو أحاسيس عريضة - ولكنه معالج للمجسدات الموضوعية التي توحي آخر الأمر بهذه الثيمات، ومن ثم هو لا يضع شخصية على المسرح قائلًا إنها تمثل الضياع ،أو الخير، أو الشر ... ولكنه - حسبما توجهه حاسته الفنية – يشعر بالإنسان داخل هذه الشخصيات ويتبع لحظاتها النفسية المتباينة، ويحس نبض الضياع داخلها ، فيتكئ عليه ويبرزه، مقابلًا بينه وبين نبض الضياع داخل الشخصيات الأخرى" [٢].

لذا فالعلاقة بين "علم النفس" و"فن المسرح" علاقة قديمة قدم المسرح نفسه، ترجع لبدايات فن المسرح ، ولكنها تبلورت وتجسدت مع ظهور المذهب الرومانسي على يد الكاتب الإنجليزي "وليم شكسبير"، الذى اهتم بالفرد وما يدور في نفسه من أحاسيس وانفعالات، مفسرًا سلوكه الجامح الذى لا يخضع في كثير من الأحيان لأصول العقل والمنطق، متخذا من الخلط بين الحقيقة والخيال والتداخل بين الواقع والحلم لغة فنية مؤثرة .

وتتجسد أبرز الأمثلة لارتباط فن المسرح بنظريات "علم النفس الحديث" في "مسرح العبث" ، بكتاباته ولغته الفنية ، التي اختلفت اختلافًا تامًا عن سابقاتها في هذا المجال ؛ حيث تتجلى فكرة "الجنون" وتبعاته في حالة الفوضى التي تسيطر على معظم مفردات النص العبثي ، خاصة إحساس شخصياته بالغربة والضياع والانتظار، وهو ما يعكس ما عايشه الفرد من حروب وصراعات ومؤامرات ، فالحب والإخاء والحرية أصبحت معاني لا قيمة لها . فالشخصيات العبثية عند كل من "يونسكو"، و"بيكت" ، وغيرهم من كتاب العبث شخصيات ممزقة ، تعاني العزلة والتشتت ، فالتيارات النفسية التي تجتاح مثل هذه الشخصيات متشابهة إلى حد كبير.

وقد ذكرت "سماح حكواتي" أن "فرويد" أشار فى أكثر من مناسبة "إلى أن الأدباء، والفنانين ، والشعراء هم وحدهم أدرى بأسرار النفس الإنسانية، وإليهم يرجع الفضل في اكتشاف اللاوعي، وعلى علماء النفس والطب النفسي الإفادة من مكنونات الأعمال الأدبية والفنية ، وبذلك مهد" فرويد" لنقل المنهج النفسي من سياق التحليل النفسي الى التحليل الأدبي" .[٣]

وقد أكد ذلك "عبد المنعم خفاجي" قائلا "ما يأخذه علم النفس من الأدب أعمق وأكبر مما يجوز أن يقحم على الأدب من الدراسات النفسية ".[٤]

---

[١] سماح حكواتي ، تجليات الجنون في الحضور والغيات الموقف الأدبي، **اتحاد الكتاب العربي** ، العدد ٤٩٢ مجلد ٤١ إبريل ٢٠١٢ ، ص ١٥٠.

[٢] محمد عناني، من قضايا الأدب الحديث، **مرجع سابق**، ص ٤٠٨.

[٣] سماح حكواتي، **مرجع سابق** ، ص ١٤٩.

[٤] عبد المنعم خفاجي ، **مدارس النقد الأدبي الحديث** (القاهرة: الدار المصرية للنشر،١٩٩٥)، ص١٣٤.

فكثير من الاضطرابات النفسية التي تظهر فكرة " الجنون" في النصوص المسرحية - وغيرها من الأجناس الأدبية الأخرى - ماهي إلا تنفيس ظاهري للمعاناة التي يخوضها الفرد مع التحديات المجتمعية في سعيه للتغلب عليها أو التعايش معها ، خاصة الأزمات الاقتصادية من فقر، وبطالة، وانخفاض مستوى المعيشة، وكذلك الممارسات السياسية التي تقهر،الفرد وتسلبه حق حرية التعبير ، فكل هذه المتناقضات التي يعانيها الفرد تنعكس – بشكل جليّ - في سلوكه وتصرفاته داخل هذا المجتمع وإزاءه.

وفكرة "الجنون" ليست جديدة على الفن المسرحي ؛ فهناك العديد من الكتاب الذين اتخذوا من "الجنون" ثيمة رئيسة لبلورة أفكارهم وقضاياهم المطروحة في النصوص المسرحية ، والتي تعتبر اللغة الفنية الأكثر تأثيرًا في المتلقي، سواء على مستوى المسرح الشعرى أو المسرح النثري ، فالأدب يقدم العديد من النماذج والأنماط الفنية التي تشكل مادة ثرية لكثير من الدراسات النفسية .

ومن أهم مظاهر "الجنون" المرتبطة بفن المسرح ما كان يمارس من احتفالات العصور الوسطي الأوروبية، وعرف باحتفال المجانين ، ووصِف هؤلاء الأفراد بالمجانين؛ لأنهم في احتفالاتهم يعارضون ويخالفون علنًا تعاليم ومقدسات الكنيسة ، والتي كانت تمارس ضغوطًا دينية باسم المقدس، تؤكد فيه على قمع حركة الفرد ؛ مما كان له أكبر الأثر في الخروج على هذه المقدسات والتعاليم في شكل سلوكيات ومواقف متحررة من هذه الضغوطات المتعمدة ، وبمخالفاتهم لهذه المقدسات وصِموا بـ"الجنون". فـ"الجنون" كان السبيل الوحيد للشعور بقيمة الفرد وتحرره من قيود الكنيسة.

وكان يُعتقد" أن مرضى الاضطرابات النفسية والعقلية قد أصابهم مس من الشيطان تلخص العلاج في محاولة التخلص من الشياطين ، وكان الأشخاص يجلدون ويعدمون حرقًا أو شنقًا وتحفر ثقوب في جماجمهم عن طريق أداة تدعى "منشار الجمجمة"، كل ذلك لإخراج الأرواح الشريرة المحبوسة بالداخل .وكانت الحضارات القديمة في الصين ومصر واليونان تستخدم الدعاء في الصلوات من أجل المضطربين كما استخدموا الضرب بالسياط والتجويع".[١]

وفكرة "الجنون" قد لا تنطوي على شخص أو مجموعة أشخاص أو حتى مجتمع معين، بل يمكن أن تنسحب إلى مواقف حياتية وأحداث مجتمعية غير مقبولة لا يستوعبها أو يتقبلها العقل والمنطق ، فهي تعبر عن خلل واضح ظاهر لا يمكن إخفاؤه بأي حال من الأحوال ، وهذا الخلل يختلف باختلاف الأسباب ، فهناك أسباب عديدة ومتنوعة تؤدي إلى الجنون ، قد تكون أسبابًا اجتماعية ،أو اقتصادية ، أو ثقافية، أو حتى سياسية .

فالحالة العامة التي اعترت المجتمع الدولي إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية لا يمكن إلا أن تكون مسًا من "الجنون" ، جنون السلطة والسطوة والسيطرة بين القوى العظمى في العالم ضاربين عرض الحائط بما يمكن أن تأصله وترسخه هذه الحروب والصراعات في النفس البشرية؛ لذا فظاهرة الجنون ليست حبيسة عصر محدد أو مجتمع معين، وهو ما يؤكد أن "الجنون" ليس مفهومًا مطلقًا وإنما هو مفهوم نسبي مرتبط بالسياق الثقافي والاجتماعي للجماعات البشرية ، التي لا يمكن أن تتشابه في كثير من ظروفها وسماتها ؛ لذا اتخذ الجنون

[١] أحمد عبد الخالق ، **أسس علم النفس** ،(القاهرة ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠١٦)، ص٥٤٤.

أشكالًا متعددة ، فكل ما هو شاذ وخارج عن المألوف وضد العقل والمنطق يمكن أن يندرج تحت مسمي "الجنون" .

الجانب التطبيقي للدراسة :

نص" مجنون لوحده "لـ" عرفة محمد "٢٠٠٣ :

نص " مجنون لوحده " قدمته الفرقة المركزية للإدارة العامة للمسرح التابعة للهيئة العامة لقصور للثقافة ١٩٩٧ تحت عنوان " بيت المصراوي " ، وهو النص ذاته الذي تم نشره ٢٠٠٣ بعنوان "مجنون لوحده".

وتدور أحداث المسرحية حول البيت الكبير الذي يقع في أحد الأحياء الشعبية ،وهو مثار جدل بين أصحابه ما بين مؤيد للاحتفاظ به ، ومتحمس لبيع هذا البيت القديم أو هدمه ، إلا أن الأستاذ " تحسين" - صاحب البيت الكبير ومدرس التاريخ- يرفض تمامًا بيع هذا البيت أو هدمه ، يسانده في ذلك صديقه "أحمد" مدرس التربية الفنية الذي يثق في فكر ورأي الأستاذ "تحسين".

وتدور معظم أحداث المسرحية في هذا البيت القديم ، في محاولة لحسم الجدل الدائر حول مكانة هذا البيت، هل هو أثر لابد من احتفاظ الدولة به ؟ أم مجرد منزل عادي لا يستحق كل هذا الجدل والصراع حول مصيره ؟.

وتأتي نهاية المسرحية لتؤكد أن البيت - رغم كونه قديمًا - ليس أثرًا يستحق الحماية والرعاية ، إلا أن الأستاذ "تحسين" يشيع أن البيت به كنز ثمين لا يقدر بثمن ، وهذا الكنز هو العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراد العائلة وحياتهم وعمرهم الذي أفنوه داخله , تحت سقفه وبين جدرانه ، فذكريات الماضي لا تموت، بل تقاوم لتبقى حية ، رغم تباعد الأبطال وغياب الأحبة وتقادم الزمن.

تحسين : أيوة. إن الجديد لازم نعيشه ، لكن ماننساش القديم ..

لان اللي مالوش قديم مالوش جديد.

ساندي : يعني الماضي هو الكنز اللي لا زم نحافظ عليه ...[1]

فأحفاد الأستاذ "تحسين"- الذين يقيمون في مناطق راقية - لا يعجبهم البيت الكبير، الذي يقبع منكمشا مستبينا بائسا داخل أحد الأحياء القديمة – فهو يناقض طبيعة العصر و يتحدى تطور الزمن ؛ لذا يلحون في مطالبة جدهم الأستاذ " تحسين" والضغط عليه ؛ لبيع البيت والانتفاع من ورائه.

وسمة "الجنون" التي استخدمها الكاتب - ليفرق بين شخصيات النص المسرحي - اختص بها الأستاذ "تحسين" الذي يدافع بضراوة عن البيت الكبير؛ فقد ورثه عن أجداده، ويحمل عراقة تاريخهم وعبق حياتهم الماضية، فليس من اليسير أن نفرط في الماضي، مقابل أن نعيش الحاضر ونرنو لمستقبل أفضل ؛ فالماضي هو الأساس الذي يتكئ عليه الفرد في سعيه للوصول إلى المستقبل ماراً بالحاضر ؛ ومن هنا كانت فكرة الأستاذ " تحسين" وحديثه عن الكنز الموجود في هذا المنزل، لذا تصارع الجميع لمعرفة أين الكنز؟ ومحاولة البحث عنه، بل صدور قرار رسمي بهدم البيت للتنقيب عن الكنز الدفين.

---

[1] عرفة محمد ، **مجنون لوحده** (القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣)، ص ١١٩.

ويرى "محسن مصيحلي": " أن الكل قد أساءوا فهمه كما أساءوا تقدير قيمة المنزل ، قيمة تراثهم المستجد في البيت، فإنه يصارحهم بأن البيت نفسه هو الكنز، أي: التراث الذي يجب أن نقف عليه حين نتطلع بعيوننا صوب الحياة الحاضرة وصوب المستقبل "([1]).

فالصراع الدائر حول هذا البيت الكبير القديم أفرز لنا أنماطًا عديدة لشخصيات متباينة ما بين انتهازي وبيروقراطي وغيرهم من الأنماط التي حاولت أن تنتفع من وراء هذا البيت الكبير، ورغم أن شخصية "سوزان " حفيدة الأستاذ " تحسين" بدت كشخصية متزنة هادئة محبة للجد ، إلا أنها كانت - كبقية الأحفاد - ترحب بفكرة بيع البيت والانتفاع به.

و"الجنون" هنا يكمن في اقتناع الأستاذ" تحسين" وإيمانه الخالص بأهمية هذا البيت " بيت المصراوي " وقيمته المعنوية والتاريخية والثقافية ، فعلى الرغم من أن "تحسين" لم يعارض ولم يمانع في ضم البيت إلى هيئة الآثار المصرية للانتفاع به فنيًا وثقافيًا، إلا أن هيئة الآثار ذاتها هي من استصدرت القرار بهدم البيت للبحث عن الكنز المفقود .

ومن خلال صراع هؤلاء الأشخاص للانتفاع بهذا البيت، يتضح لنا سمة "الجنون" التي تسيطر على تصرفاتهم وأفعالهم غير المنطقية والتي تتضح في بقاء مفتش الآثار في البيت بالمبيت فيه بتصريح من مصلحة الآثار.

صوت (من خارج) : مهلة إيه يا أستاذ تحسين .. ده أنا مفتش الآثار اللي جاي علشان استلم وظيفتي هنا في البيت .

تحسين :(ناحية الباب): تستلم وظيفتك هنا في البيت ده ... (يفتح) مين اللي قالك الكلام ده ؟

المفتش : (يدخل) القوى العاملة ... هي اللي بعتتني استلم شغلي هنا .. وأدي جواب التعيين ... ([2])

واذا كان "الجنون" يتجسد في الأستاذ "تحسين" وتمسكه بالبيت الكبير، إلا أن هناك ضروباً من "الجنون" تخللت أحداث المسرحية ، والتي من شأنها أن تدعم وتقوي موقف الأستاذ "تحسين" ، منها محاولات مندوب مصلحة الآثار المستميتة لإقناع الأستاذ " تحسين" بزواجه من أخته - الأرملة الطروب - وعرضه الزواج من الآنسة "سوزان" حفيدة الأستاذ " تحسين" ؛ حتى يحظى بنصيب شرعي من البيت الكبير، فضلاً عن موقف فتاة الإعلانات ومذيعة التليفزيون ، والعديد من المواقف الأخرى التي تتسم بالجنون .

فالكاتب - في عرضه لقضية الأستاذ " تحسين" وتصميمه علي الحفاظ على البيت الكبير - يعرض لحال المجتمع المتناقض المعتل ، الذي لا يرى سوى المصلحة الشخصية دون الالتفات إلى قيمة المكان وما يمثله من معان ، وما يحمله من ذكريات تدفع الإنسان إلى مواصلة الحياة مرة أخرى ، فنحن نستمد طاقتنا وقيمتنا الحقيقية من ذلك الماضي وتلك الذكريات .

إلا أن المجتمع يرى - في نهاية المسرحية - أن الأستاذ" تحسين" لابد من إيداعه مستشفى الأمراض العقلية ، فهي المكان المناسب للأستاذ "تحسين "، الذي بدا من الزمن القديم بأفكاره وآرائه التي عفا عليها الزمن .

---

[1] محسن مصيلحي ، **جيل بعد جيل: تحولات الخطاب المسرحى المصري** (القاهرة : المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية ،٢٠٠٥) ص٢٩٢.

[2] عرفة محمد، مجنون لوحده ، **مرجع سابق** ، ص ١٠٤.

الطبيب: (يدخل الصالة بمصاحبة طاقم ممرضين) فين الراجل العجوز المجنون اللي هنا ؟ اللي اسمه تحسين عبد الحفيظ فى بلاغ لإيداعه مصحة الأمراض النفسية باعتباره في الزمن ده مجنون لوحده .([1])

نص "سالومي "لـ " محمد سلماوي" :

في بداية المسرحية يسأل الملك "هيرود" عن "سالومي" بشغف واهتمام ، ويأمر الخدم بضرورة إحضار "سالومي" ، ويطلب منها مجالسته ، إلا أن الكاتب يفاجئنا بحوار "هيرود" مع زوجته " هيروداس" بلغةٍ زايلها الحذرُ بفعل العشقُ واللهفةُ ، لغة لا تناسب ملكًا للبلاد وزوجًا لأم "سالومي" ، والأدهى من ذلك أن يحدث ذلك أمام الملكة " هيروداس" الأم ، وهي بكل بساطة تطلب من "هيرود" أن يترك " سالومي" وشأنها.

هيروداس: قلت لك دعك من ابنتي.

هيرود: (يصيح) استدعوا الأميرة سالومي. انظري ياهيروداس إلى القمر ألا يشبه سالومي ؟

هيروداس: إذا ظللت تنظر هكذا إلى القمر فعند نهاية الاحتفالات ستكون قد جننت (٢)

من بداية المسرحية ، يكشف لنا "سلماوي" عن عشق الملك "هيرود" وهوسه ب"سالومي" - ابنة زوجته "هيروداس" - تبدَّى ذلك في إلحاح "هيرود" لترقص له "سالومي "عارية ، والأدهى من ذلك معرفة أمها "هيروداس" وتشجيعها - هي والكهنة - على تنفيذ طلب "هيرود" في مقابل قطع رأس يوحنا المعمدان ، فعلى الرغم من عشقِ "سالومي" ل"لمعمدان" إلا أنها قبلت طلب أمها كي تنتقم لأنوثتها وكرامتها منه ، بعد أن رفض حبها ومحاولاتها المتعددة لإغرائه وغوايته.

وفكرة " الجنون" سيطرت على هذا المشهد العبثي شكلًا ومضمونًا ؛ فمن العبث أن تقبل زوجة مشاركة أخرى في اهتمام وحب زوجها ، ولكن "هيروداس" هي من دفعت "سالومي "لتلبي رغبات ونزعات زوجها الملك أمام ضيوفه من خارج المملكة ، وهو ما كان تمهيداً للعلاقات الآثمة بين "سالومي" والبستاني ، فكان المشهد العام ضربًا من الجنون ، جنونًا يجافي العقل والمنطق ، فقبول "سالومي " فكرة أمها ذبح "المعمدان " - هو الجزء الأهم في المشهد فهو بمثابة الحتمية الدرامية لاكتمال الحدث الدرامي وبلورة الشخصية الدرامية في المسرحية ، والتي كانت - بدروها- تمهيداً لجنون أكبر وأعظم فى مسرحية "رقصة سالومى الأخيرة ". وإذا كان رقص " سالومي" عاريَة -أمام "هيرود" وضيوفه- هو قلب المشهد الدرامي ، فالعلاقات الآثمة هي التي سيطرت على المشهد العام في النص .

ومسرحية "سالومي" مستوحاة من القصة الدينية والشعبية التي تروي أن "سالومي " الفاتنة رقصت في حفل الملك الروماني "هيرود "ملك الجليل عند جلوسه على العرش ،وهو زوج أمها الملكة "هيروداس" ، ويقال إنها كانت زوجة أخيه (تزوجها بعد وفاته) وأن الملك

---

[1] **المرجع السابق** ص ١١٩- ١٢٠ .

[2] محمد سلماوى، **سالومى: المجلد الأول النصوص المسرحية** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٤)، ص٢٧٠.

"هيرود" كان معجباً "بسالومي" إعجاب العاشقين ؛ لذا وعدها بتلبية أي طلب تطلبه لو رقصت أمامه وأمام ضيوفه عارية بمناسبة عيده ؛ لذا طلبت "سالومي" رأس يوحنا المعمدان.

ولكن الغريب في الأمر أو غير المعقول أن "سالومي" - ابنة "هيروديا س"- كانت تحب "يوحنا المعمدان"، ومع حبها وعشقها لـ"لمعمدان"، إلا أنها رضخت لمطالب أمها ووافقت على مقايضة "هيرود "على رأس " المعمدان" برقصتها أمامه هو وضيوفه ،وبالفعل قام "هيرود" بقطع رأس المعمدان تنفيذاً لأوامر ملكته "سالومي" .

ويشير "ألفريد فرج" إلى أن "الكاتب يكشف العلاقة المتناقضة والحميمية - مع ذلك - بين الحب والانتقام .. حب "سالومي" للناصري وانتقامها من صده لها ".(١)

نص" سوق الكلمات" لـ"محمد صلاح صقر":

تدور مسرحية "سوق الكلمات" حول أهمية الكلمات وأهمية الإيمان بهذه الكلمات ،حتى تستطيع أن تقنع بها غيرك؛ كي يفهمها ويصل لمغزاها، ويتأكد من أهميتها؛ فالكلمات هي التي تترجم أفكارنا وتعبر عن مشاعرنا، وعما يجول في نفوسنا البشرية، وعلى الرغم من ذلك أصبحت سلعة تباع وتشترى، بل الأكثر من ذلك أصبح لها سوق تعرض فيه لمن يدفع أكثر ، ويحكم هذا السوق قوانين صارمة حازمة يلتزم بها الجميع ،ومن لم يخضع ويلتزم يتم وصمه بالجنون؛ ليصبح- في لحظتها-خارج هذا السوق، أي خارج هذه الحياة بأكملها .

فالكلمات نفسها لم تسلم من يد السلطة - سلطة "شاه بندر المؤلفين" - ، ولكنها سلطة مختلفة ، سلطة تتناسب مع آلية السيطرة والتحكم في هذه الكلمات ، علاوة على السوق الرسمي" سوق الكلمات" الذي من خلاله يطرح كل مؤلف أو كاتب كلماته ، والتي من شأنها أن تقوي من وجود هذه السلطة أو تحاول التشكيك في مصداقيتها؛ لذا يحاول "شاه بندر التجار" ونائبه ، محاصرة تلك الشخصيات ؛ للتحكم فيها كلماتها .

وهنا نجد أن الكاتب قد عرض لنا قضية من نوع خاص مختلف ، بدأها بحوار ثري بين الشخصية وصوت المؤلف ،وصراع فكري بين حرية الشخصية في التعبير عن أفكارها، في مقابل إصرار وتعنت صوت المؤلف وخوفه من سلطة " شاه بندرالمؤلفين" ، فالشخصية تحاول الإفلات من تبعيتها لهذا المؤلف، وتعلن العصيان والتمرد على تبعيتها لمؤلف يعاني من القهر والخنوع ،الذي يصل إلى حد الخوف والهلع من الكتابة ومواصلة بناء شخصياته المتباينة ،ومنهم هذه الشخصية التي لا ترضى بهذا الاستسلام .

صوت المؤلف: افهم انتَ ... لن تهرب مني كما تعتقد، كل ما في الموضوع أنك سقطت سهواً من عقلي . عندما تحركت برأسي عفواً وأنا أكتب ..

الشخصية : إنني أعجب منك كيف تكون مؤلفا ولا تستطيع أن تميز بين السقوط .. والهروب .. لقد خرجت عن عقلك مع سبق الإصرار والترصد هربت بعد أن يئست منك. لو كان سقوط .. كنت سقطت على أوراقك ولكن أين أنا الآن ؟! أبحث عن أوراق مؤلف آخر يكتبنى. (٢)

---

١ الفريد فرج ، **رقصة سالومي على المسرح القومي** ، في: نبيل فرج (محرر) ،**مسرح محمد سلماوي كتابات نقدية**، المجلد الثاني (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤)، ص ٢٩٠.

٢ محمد صلاح صقر، **سوق الكلمات**، (القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧)، ص١٤.

فمن خلال المقدمة - التي تسبق الفصل الأول من المسرحية- يتضح لنا أن الشخصية تطالب بحريتها للانفلات من عقل هذا المؤلف ، والبحث عن مؤلف آخر يكتبها ويعبر عنها ، بعدما عجز مؤلفها عن استكمالها وبلورتها جراء خوفه وهزيمته النفسية ، وفي نهاية المقدمة يؤكد المؤلف على أن الحرية هي حلم صعب المنال يستحيل الحصول عليه بسهولة كما تظن الشخصية المتمردة . فالحرية -التي تبحث عنها الشخصية- تدور في فلك الفراغ واليأس ، وتعود مرة أخرى إلى نقطة البداية.

صوت المؤلف : لا فائدة منك اذهب ...ابحث
ابحث عن مؤلف حر ... أو حريتك ... كيفما شئت
ستعرف معنى الدوران ... والفراغ ...واليأس
ستعرف معنى العودة ... والخضوع والذل . [١]

بهذه المقدمة ، افتتح الكاتب " محمد صلاح صقر" مسرحية "سوق الكلمات" ، والتي يعرض من خلالها لشخصية من أهم شخصيات هذا النص المسرحي ألا وهي شخصية "المجنون" والتي تظهر من خلال أحداث الفصل الأول ، بعدما يستعرض لنا الكاتب أهمية الكلمات.

ثم يسير بنا الكاتب ليكشف لنا عن ماهية شخصية "المجنون" ، وهو واحد من رواد أو قاطني سوق الكلمات ، كاتب ومؤلف يصنع الكثير من الشخصيات ، أنطق إحدى شخصيات قصصه بلفظ الحرية ، مجرد لفظ يعبر عما يجول في خاطره عما يتمنى ، مجرد أماني وأحلام، مما تسبب في معاقبته ومحاكمته ووصمه بالجنون .

فمن خلال حواره مع الشخصية التي تمردت على مؤلفها تبغي الحرية والامتداد حتى لا تذهب في طي النسيان يكشف لنا المؤلف الحال التي وصل لها هذا "المجنون" .

فالمسرحية تصور انتهاكًا واضحًا وصريحًا للحريات الفردية وحقوق الإنسان، من خلال سيطرة"شاه بندر المؤلفين" على أفكارالمؤلف وآرائه ومشاعره ، التي لا يعلنها بطريقة مباشرة، ولكنه يجريها على ألسنة شخوصه الدرامية من خلال الكلمات المكتوبة

فالقانون الذي يحمي الفرد وينظم الحياة داخل هذا المجتمع ويتقبله الحاكم والمحكوم عن طيب خاطر ، إلا أن البعض يسىء أستخدام هذا القانون ، مما يبرز الفجوات الواسعة بين النظرية والتطبيق.

رقابة ٢: ألم تذكر في قصتك الأخيرة على لسان بطلها؟
رقابة ١ : (يقرا من الورق) (بسخرية) إن الحرية تتراءى لي الآن في هذه اللحظة من خيالي المتفائل. أجمل من المرأة التي منذ الطفولة وخيالي مزدحم بها بحبها . [٢].

فالكلمات فى النص ، قد تغير شكلها ومضمونها كما تغيرت أساليب استخدامها ، والأكثر من ذلك، أنها أصبحت من أكثر السلع رواجا في السوق . وهو ما يتفق مع فكرة النص

[١] **المرجع السابق** ، ص١٦.

المسرحي "سوق الكلمات" ، الذي تُقدم أو تُصور فيه الكلمات وكأنها أضحت سلعة قابلة للبيع والشراء ، لمن يدفع أكثر .

وقد أجاد الكاتب فى عرض الطريقة التي اعتمد عليها في التعبير عن أهمية الكلمة ـ خاصة المكتوبة منها وعلاقتها بالكاتب ـ وطريقته في كتابة ما يشاء من الكلمات ليعبر عن أفكاره وآماله وأحلامه ، حتى يصل الوضع إلى أن يكون هناك سوق للكلمات وقانون يحكم هذا السوق ، يتحكم فيه "شاه بندرالمؤلفين" يعاقب كل من يخالف هذا القانون الذي يحكم سوق الكلمات. و"شاه بندرالمؤلفين" هو من يراقب ،ويعاقب ،ويحاكم كل من يحاول الخروج على قانون السوق ، والأهم من ذلك ، الحالة النفسية السيئة التي يعاقب بها من يخرق هذا القانون.

الجلاد: (يضربه بالسوط)

المجنون : آآآآآ هـ

رقابة ٢: وتؤكدها الآن بهذه الآه

المجنون : إنها آهة الألم وليست التأكيد كيف لي أن أعلم بحرمانية النطق بالحرية.

رقابة ١ : الجهل بالقانون لا يبيح الخطأ. [١]

بالفعل نجح "شاه بندر المؤلفين" في عقاب هذا "المجنون" الذى لا يستطيع أن يعبر عن أفكاره ، خاصة فيما يكتب فهو لا يشعر أن وجوده في هذه الحياة له قيمته في المجتمع يؤثر فيه، ويتأثر به، فأول الكلمات التي نطقت بها شخصية "المجنون" في النص كلمات تتعلق بالحرية ، وأن الحرية وهم لا وجود لها فى سوق الكلمات . ف"الجنون" الذي يتناوله الكاتب ويجسده من خلال شخصية" المجنون "- وهو بدون اسم مثل معظم الشخصيات - جنون مختلف يمثل أقصى أنواع العذاب النفسي والمعنوي لأى كاتب يحترم قلمه ويعتز بكلماته .

والغريب أن المتهم – "المجنون" - استسلم ورضخ دون أية مقاومة ، فالواضح من تطور الأحداث خاصة مشهد التحقيق مع المجنون ثم الحكم عليه من "شاه بندر المؤلفين" ، كأنهم جميعاً يجبرونه على قبول هذا الحكم، ويؤكدون على ضرورة الاستسلام واستبعاد فكرة المقاومة ؛ لذا كان الرضوخ والاستسلام هو طوق النجاة من الهلاك .

شاه بندر المؤلفين: جنونك يعفيك من الحساب...في السماء (بخبث) وفي الأرض .

(يضغط على الكلمة الأخيرة) ...يهدد ...بها . [٢]

وفي مقابل هذا الموقف المتخاذل المستسلم من المؤلف "المجنون"، تظهر لنا العديد من الشخصيات التي يحويها النص، والتي تبحث عن مؤلف حر؛ لمواجهة سلطة "شاه بندر المؤلفين" ومحاولة الوقوف والتصدي لفساده وظلمه ، فلم يسلم منه الصبي أو العجوز ، الغني أو الفقير؛ لذا دفع الكاتب بعدد من الشخصيات التي جسدت الأمل والتفاؤل بين جنبات سوق الكلمات المظلم ، متمثلة في شخصية "أميرة" ، والتي ظهرت من بداية النص باحثة عن من يكتبها ويبلورها بكلماته ، فـ "أميرة " رمز الكلمة الطيبة في النص ، ثم "صفوت" كاتب مثالي يحارب "سوق الكلمات" بالكلمات ، وشخصية "صلاح "وهو صديق صفوت يحاول معه محاربة ما يعترى سوق الكلمات من ظلم وفساد.

---

[١] محمد صلاح صقر ,سوق الكلمات، **مرجع سابق**، ص ٣٣ .

[٢] **المرجع السابق** ، محمد صلاح صقر ,سوق الكلمات، ص ٤٨.

نص "العدو في غرف النوم" لـ"هشام السلاموني":

يقدم لنا "هشام السلاموني" نموذجًا جديدًا و مختلفًا عما تعرض له هذا البحث من نماذج لفكرة الجنون وطبيعة الشخصيات الذين يمكن أن نطلق عليهم مجانين.

فالنص يدور داخل مستشفى للأمراض النفسية، بها طبيب نفسي يُدعي الدكتور "فاضل" ، يقابله في الجانب الآخر شخصية المهندس "عاصم "، الشاب الذي وصل مؤخرًا للمستشفى لتوقيع الكشف الطبي عليه ،والتأكيد على أنه مختل عقليًا من خلال تقرير رسمي بذلك.

والكاتب استعرض لنا - فى بداية المشهد الأول من المسرحية- شخصية الدكتور "فاضل" ، من خلال علاقته بزوجته "سوسو"، والتي ترافقه دومًا حتي في مكان عمله داخل المستشفى محاولًا تلبية رغباتها وطلباتها دون أية معارضة ، ثم يُظهر لنا حرصه الشديد والدائم علي عمله الخاص(العيادة)، واستعانته بالتمرجى "عبد السميع" - الذي يعمل معه في نفس المستشفى- ليكون مسئولًا عنها حتى في أوقات عمله الرسمية .

فالكاتب عرض لنا ثلاث شخصيات مختلفة داخل المستشفى، وهم: "عاصم"، و"المجنون" و"البراجني" ؛عاصم الذي حاول أن يقنع الدكتور "فاضل" بما تعرض له من ضرب وتعذيب ، جرّاء وصول الدبابات البشرية إلي الدور الرابع الذي يقطن فيه ، بل وصولها إلى غرفة نومه ، وأنه لم يكن الوحيد الذي اعتدت عليه هذه الدبابات، بل كان بواب العمارة هو أول من واجه هذه الدبابات وتفاجأ بها أمامه في مدخل العمارة (بير السلم) ، وهو ما كان يحاول "عاصم" أن يؤكده ويخبر به الجميع . وشخصية "المجنون" الذي لم يوضح لنا الكاتب أية معلومات عنها ، سوى أنه كان يردد كلام "عاصم" بأسلوب آخر أو صياغة مختلفة ولكنها قريبة من حديث "عاصم" .

وشخصية "المجنون" - ظهرت في المشهد الثاني من المسرحية - لم يحدد لها الكاتب اسمًا محددًا واكتفى بوصمها بـ"الجنون" ، ومن الملاحظ أن الكاتب لم يعرض لنا غير هذه الشخصية فقط من بين مرضى المستشفى، وأكد على مرضها ووصمها ب"الجنون" ، لتكون الشخصية المقابلة لشخصية "عاصم" ، وتؤكد أنه شخصية طبيعية عادية غير مختلة، قد تعاني بعض الضغوطات الحياتية مثلها مثل أي شخص عادي يعيش داخل هذا المجتمع. ثم دفع الكاتب بشخصية "البراجنى" الأولى ، والتي جسدها من خلال النص المرافق لحديث "عاصم" في المشهد الثاني فقط ، فلم يُجر الكاتب حوارًا ملموسًا بينها وبين أي من الشخصيتين السابقتين أو حتى مع نفسها .

اكتفى المؤلف بثلاثة مشاهد مسرحية ، هي مكونات النص المسرحي : عرض لنا في المشهد الأول شخصية الطبيب "فاضل" وعلاقته بزوجته "سوسو" وكذلك علاقته بالتمرجي "عبد السميع" ، الذي يهرب من عمله الرسمي كي يساعد "فاضل" في عيادته الخاصة . كما عرض لنا سريعًا شخصية مدير المستشفى ، والذي لم يُسَمِّه المؤلف ، واكتفى بصفته في النص ، واقتصر ظهوره على بدايات المشهد الأول دون أن يكون له أي تأثير درامي على أحداث النص المسرحي . ثم عرض لنا شخصية البواب- الذي يدعى "السعيد" وهو بواب العمارة التي يسكن بها المهندس "عاصم" والذي يستشهد به "عاصم" في التأكيد على صحة ما يقول من وقائع كي يقنع الدكتور" فاضل" أنه شخص طبيعي وليس مجنونًا، ثم تختفي شخصية البواب مع نهاية

المشهد الأول ؛بعد تأكيدها كلام "عاصم" ، وهو ما صدم الطبيب "فاضل" وجعله يفكر مرة أخرى فيما يقوله "عاصم".

عاصم : يهجم عليه عنوة .. يرفع جلبابه .. ترى علامات الجنازير على جسم البواب)
فاضل : (قافزاً من مكانه في دهشة شديدة) ايه ده ياسعيد
السعيد : جنازير الدبابات يا بيه .. أقصد على الطلاق ما ليش دعوة ..
عاصم : (وهو يعري جسده ، وادي جسمي أنا راخر (نرى علامات الجنازير). [١]

ثم يأتي المشهد الثاني الذي يضم الثلاثة "عاصم "و"المجنون" و"البراجني" ويقوم فيه النص المرافق مقام النص الأصلي في وصف شخصية "البراجني" ، الذى لم يتفوه بكلمة واحدة خلال هذا المشهد ، فعلامات الخوف والفزع واضحة عليه ،خاصة مع من حديث "عاصم" عن الدبابات ، فقد كان هناك ارتباط شرطي بين كلمة الدبابات والجنازير وهرولة "البراجني" إلى دورة المياه، وارتفاع صوت منظف المرحاض، فهو شخص زائغ البصر تائه ، يبدو عليه القلق والتوتر .

عاصم : (وراء البراجني) إنت ايه ؟ أول ما تسمع سيرة الدبابات (يتعالى صوت القرقرة)
عارف بطنك تكركب .. لسة با تكلم بأدب .. الدبابات (تعود قرقرة بطن البراجني)..
الدبابات وصلت انتو مش متأكدين منهم ليه؟ دول مجرمين ؟(يجري البراجني إلى دورة المياه) [٢]

ثم عرض لشخصية "المجنون" ، وهو من يحاول أن يتحدث بعبارات غير مترابطة أو متسقة ، ولكن نلمح منها محاولة التصدي للدبابات ، وكأنه يحارب على أرض المعركة والدبابات واضحة أمامه، وينتظر الأمر بالهجوم للقضاء على هذه الدبابات.

عاصم : (في عصبية) هما فاكريني مجنون ؟ فاكرين انهم عزلوني ..وحبسوا صوتي ، المجنون هو اللي افتكر كدة (يخلع عن البراجني هدومه) أنا حلزق الورق على جسمك .. وح فتعل مشاجرة .. خناقة بحق وحقيق ، حقلبها ياغمة (يبدأ في لصق الورق على ملابس البراجني الداخلية ، يعني أنا حشغلهم ، وانت وشطارتك بقى يابطل .. (يقلدهم) كثير الهروب (في حنان) انت فرصتي الوحيدة يابراجني، ح تهرب وسط الناس، والناس قروا الورق والناس إذا خلوا بالهم ح يقدروا عليهم المهم ما يتفأجوش بيهم في أُوَد النوم. [٣]

فقد أعتقد "عاصم" أن "البراجني" قد يكون وسيلته كي يعرف الناس الحقيقة، حقيقة هذه الدبابات وكيفية وصولها إلى غرف النوم الخاصة ، تَخَيَّلَ "عاصم" أن "البراجني" سوف يكون صوت الحقيقة بين الناس ،علّها تنقذ "عاصم" من مصير الجنون وتنقذ كثيرين غيره .

وفي المشهد الثالث من المسرحية ، تظهر شخصية تشبه شخصية "البراجني"الأولى ولكن بملامح أوضح وأثبت، فهو - في هذه المرة- لم يكن صوت الحقيقة بالنسبة ل"عاصم "، بل

---

[١] هشام السلاموني، **العدو في غرف النوم** ،(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٥)، ص ص٣١-٣٢.
[٢] هشام السلاموني، العدو في غرف النوم ،**مرجع سابق** ، ص٣٧.
[٣] **المرجع السابق** ، ص٤٥.

كاد أن يكون سبب هلاكه ، فهو من يريد الزج به داخل مستشفى الأمراض النفسية ؛ كي يكون مصيره مثل مصير المجنون ويحكم عليه بالعزلة والجنون.

يحاول -"عاصم" استعطاف "فاضل" والتوسل إليه ؛ كي يقر أنه عاقل حتى لا يبقى طيلة عمره داخل أسوار هذه المستشفى. فوضع الدكتور "فاضل" لا يختلف كثيرًا عن وضع "عاصم "، فـ "فاضل" لو أقر بالواقع والحقيقة الواضحة تحَوّل هو إلى "كبش الفداء" ، فهو في ذلك يخالف الأوامر والتعليمات ، ولو أقر بما يريده شبيه"البراجنى" ،يُخالف ضميره وقسمه ومهنته ؛ لذا فضل الهروب هو وزوجته إلى الخارج ؛ كي يضمن سلامته من دخول الدبابات منزله ووصولها إلى غرف النوم ، وتعرضه لمثل هذا المصير.

ف"عاصم" - عندما تحدث وأقر بالحقيقة وكشف الفساد- لم يكن يعلم طبيعة العقوبة التي تنتظره ؛ لذا حاول أن يُخفي شخصية "البراجني" الثانية حتى يضمن خروجه من هذه المستشفى ، وذلك بإيهام الممرض "عبد السميع" أن من يجلس مع الدكتور "فاضل" هو "البراجني" الهارب ، حتى نجح بالفعل في دفع "عبد السميع " للإمساك بـ"البراجني" وإدخاله العنبر مع " المجنون" ؛ مما دفع "فاضل" للتأكيد على ضرورة السفر ، خوفاً من عواقب هذا التصرف المجنون.

فالجنون - في هذا النص - لم يكن يقتصر فقط على شخصية " المجنون" والتي لم يطلق عليها المؤلف اسما محددا ، ولم تكن الشخصية الرئيسة، ولكن "الجنون" كان الفكرة الرئيسة التي اتسمت بها العلاقات بين شخوص هذا النص المسرحي، بداية من جنون وشغف "سوسو" زوجة الدكتور" فاضل" بالأفلام البوليسية ، ومحاولة "فاضل" تحقيق رغباتها ، ومحاولات "عاصم "المستميتة لإقناع الدكتور "فاضل" بأنه شخص طبيعي كانت أيضًا ضربًا من الجنون ، وقد تزايد هذا الجنون خاصة في المشهد الثالث، مع وجود شخصية "البراجني الثانية" ، ومطالبته بالتقرير الطبي الذى يدين "عاصم" ويؤكد جنونه في مقابل محاولات "عاصم " المستمرة والمستميتة لإثنائه عن مهتمة ، والتي يمكن أن نصفها أيضًا بـ"الجنون" ، ولكن المخطط المجنون لـ"عاصم" تفوق على مهنية " فاضل" وقوة "عبد السميع" والأكثر من ذلك سطوة "البراجني" .

عبد السميع: مسكناه يا باشا في أوضة المدير (عاصم يصفق في فرحة)

عبدالسميع: أمَّال الهبد اللي حضرتك سامعه ده بنهبده في مين ؟ (للخارج) شد الطبلة يا واد انت وهوه البيه مش سامع كويس ، شد الطبلة سمعونا الهبد اللي على واحدة ونص ...

فاضل : خليهم يسيبوه يا مجنون .

عبد السميع :(لا يسمع من صوت الهبد أو هكذا يهييء لنا بتقول لنا)بتقول ايه يا سعادة الباشا

فاضل : (صارخاً) سيبوه

عاصم : (لفاضل) خليهم يضربوه ، دي فرصتنا ما تضيعهاش يادكتور

عبد السميع: (يدعي الصمم) لا مؤاخذة يا سعادة الباشا.. موش قادر اسمعك من الدوشة.[١]

[١] هشام السلاموني، العدو في غرف النوم ، **مرجع سابق** ، ص٨٣.

فمن الواضح- في هذا النص-أن الإرشادات المسرحية أو النص المرافق احتل مكانة واضحة ، بل استعان به الكاتب لبلورة بعض الشخصيات وتوضيحها ، دون أن يكون للحوار أي وجود مادي يذكر ، خاصة شخصية "البراجني"الأولى في المشهد الثاني ؛ فنلمح - من خلال النص المرافق والعبارات الوصفية المتداخلة من حديث "عاصم" من هو "البراجني" ؟ وكيف كانت علاقاته هو الآخر بالدبابات ؟ ، فالنص المرافق كان له أثر درامي واضح في الكشف عن ماهية العلاقات التي جمعت بين شخوص النص ، بداية بالدكتور " فاضل" ونهاية بـ"عاصم" ، ومحاولاته المستميتة في الإفلات من "الجنون" ، وكأنه شخصية بهلوانية أجاد في استخدام لعبة القبعات فكانت قبعة الجنون من نصيب شبيه" البراجني" في نهاية المسرحية.

نص"عيش السرايا " لـ"سعيد حجاج " :

و نص"عيش السرايا " معد عن رواية الكاتب البرازيلي "ماشادوه ده اسيس" (١٨٣٩- ١٩٠٨) باسم "السراية الخضراء " واسمها الأصلي " طبيب الأمراض العقلية" ،وهى تتعرض لفكرة " الجنون" ، ولكن بشكل مختلف ، فهي لا تناقش طبيعة هذا "الجنون" أو أسبابة المرضية أو أشكاله ، ولكنها تعالج "الجنون" كموضوع مباشر لفكرة الاستبداد والسيطرة المستند إلى الجريمة النظرية. في محاولة منظمة محاولة للوصول إلى نظريات علمية جديدة ؛ بإخضاع قطاع من أفراد المجتمع للتأكد من صحة هذه التجارب العلمية ، وكأنهم حيوانات تجارب لا يملكون إلاالموافقة .

وهذه التجارب العلمية ،يقوم بها عالم معروف تحتفي به البلاد ، خاصة مع إعراضه عن تولي العديد من المناصب الإدارية الجامعية ، معللاً ذلك بأهمية العلم لخدمة الوطن .(قاعة مجلس المدينة مجهزة تماماً لاستقبال الدكتور "سيمون")

الرئيس: السادة والسيدات أعضاء مجلس المدينة، بعظيم الشرف والفخار نستقبل في بهجة ابن مدينتنا البار المتوج بالعلم الحديث الدكتور" سيمون" بكمارته (تصفيق حاد وصفير وبهجة) .

لكي يضع الأمور في نصابها والعلم في مكانه بعد جهل دام قروناً عدة وهو الذي رفض أجل الوظائف ، حين عرض جلالة الملك أن يتولى رئاسة الجامعة أو منصب المفوض الرسمي لشئون الحكومة قائلاً في عزة وإباء وشمم .

(يقف د" سيمون" وكأنه يستحضر الملك أمامه)

سيمون : أنا آسف يا جلالة الملك " العلم منصبي الوحيد " وهذا الوطن هو عالمي". [١]

ففي هذه التقدمة الدرامية السريعة ، نلمح مدى احتفاء رئيس مجلس المدينة وأعضاء المجلس بالدكتور "سيمون بكمارته" ؛ حيث يستقبلونه بأنفسهم داخل قاعة المجلس ، مما يؤكد على أهمية د." سيمون" بالنسبة لرئيس المجلس ، وكذلك الأعضاء ، هذه الأهمية لا تتعلق بمنجزات د. "سيمون" العلمية فحسب ، والتي أبهرت المدينة، وما يعتقده هو شخصيًا ويؤمن به ؛ وإنما لاستخدامه د"سيمون" في السيطرة على القاعدة العريضة من المجتمع تحت ستار احترام العلم وتقدير العلماء! .

---

[١] سعيد حجاج، **عيش السرايا ونصوص أخرى**،(القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة ،٢٠١٦) ص ص١٥-١٦.

فـ"سيمون" تربى في مدرسة داخلية في كنف الأب "لويس "، الذي كان في مقدمة مستقبليه ؛ مما يشير إلى أن "سيمون" لم يكن لديه الفرصة للاختلاط بالمجتمع ،فقد تربى على تلقي الأوامر وتنفيذها دون أن يفكر فيها، وهو ما يفسر زواجه من "دونا " التي تزوجها أثناء دراسته في الخارج ؛ فلم تكن تجمعه بها قصة حب ، و"دونا" نفسها لا تملك مقومات الجمال والأنوثة الملفتة حتى ينجذب لها ويتزوجها ، وهو ما أشار إليه الأب "لويس" في حديثه مع "سيمون" الذى أكد أنه تزوجها ليعصم نفسه فقط ،واختارها بهذه الصفات والسمات حتى لا تكون عقبة في مسيرته العلمية.

سيمون: الأب لويس يا دونا هو اللي رباني على الأخلاق الحميدة ... علمني ما كنش طفس يا دونا دا اتولى رعايتي في المدرسة الداخلية ...رباني كويس [١]

فـ"سيمون" شاب في مقتبل حياته العملية ، حظى ببعثة علمية للحصول على الدكتوراه من الخارج ، ورغم ذلك ، فهو لا يبحث عن فتاة بمواصفات خاصة تشاركه آماله وأحلامه، وعلي النقيض من أي شاب طبيعي لا يرضى بأي فتاة كزوجة يشاركها حياته ويقاسمها مستقبله . كان "سيمون" يبحث عن أي فتاة تفتقر لمقومات الجمال ، فما بالنا بعالم تحتفي به الدولة وتوكل له مهمة الاهتمام بأفرادها .

سيمون : لا لا أنا ما كانش عندي استعداد للجواز من شابة جميلة وأضحى باهتماماتي العلمية واقعد أتأمل مفاتنها وبعدين قداستك لازم تعرف انها مثالية جداً .

لويس: (ينظر نحوها) آه طبعاً واضح. [٢]

ففي المشهد الأول من المسرحية ، يعرض لنا الكاتب بعض المعلومات المهمة عن د" سيمون" وطفولته وطريقة تفكيره ، والتي يمكن أن نستدل منها على طبيعة هذه الشخصية وهل تستحق كل هذا الاحتفاء والشكر ، أم أن هناك أغراضًا أخرى من وراء هذا التكريم .

كل هذه المعطيات تقودنا إلى أن هناك خللًا تعانيه شخصية "سيمون"، يؤكده الكاتب في المشهد الثاني من خلال الحوار الدائر بين "سيمون" وزوجته "دونا" ، تظهر فيه الزوجة أكثر اتزانًا من زوجها الطبيب ، فهي تشتكى العزلة والصمت الذي يعيشه "سيمون" دون أن يعطي لوجودها اهتمامًا يذكر ، متعللًا بانشغاله الدائم بأحوال الناس وبمعاناتهم النفسية الواضحة.

دونا: كلام إيه اللي ما بسمعوش ؟ أنا مش فاهمة حاجة

سيمون: عرفت بقى فايدة الصمت اللي بينا؟

دونا: بتقول إيه يا سيمون؟

سيمون: بكح ، المجانين بقوا في كل حتة في البلد، في الشوارع والحواري ، في المكاتب والبيوت في كل حتة ، في كل حتة، أنا بامشي في الشوارع أتكعبل في مجانين يا دونا، مجانين خطرين وغيرهم كمان مسالمين وما حدش بيمد ايده يرحمهم من عذابهم

دونا: مالك يا سيمون يا حبيبي أنت سخن؟. [٣]

---

[١] سعيد حجاج، عيش السرايا ونصوص أخرى، **مرجع سابق** ، ص ١٨.

[٢] **المرجع السابق** ، ص ١٩.

[٣] سعيد حجاج، عيش السرايا ونصوص أخرى، **مرجع سابق**، ص ١٩.

[٢] فرج عبد القادر طه ،**مرجع سابق** ، ١٩٩٩، ص١٨٧.

فـ "سيمون" يؤكد لـ"دونا" أن غالبية أفراد المجتمع مجانين ، مجانين خطرون ؛ هكذا يطلق حكمه البات وقراره القاطع ، دون أن يُخضع أحدًا للفحص ليتأكد فعلًا من مرضه . فهل يمكن لشخص طبيعي بل وطبيب نفسي أن يرى الجميع مرضى مختلين دون تفرقة أو تمييز أو استثناء ؟ أم أن الاحتمال الأكثر منطقية وعقلانية أن يكون "سيمون" نفسه هو ذلك المريض العقلي الذي يراه في كل من حوله. وفى هذا الصدد يشير "فرج عبد القادر طه" إلى أن " الإدراك السليم للواقع الذي تتحرك فيه الشخصية وتتفاعل عنصرًا هامًا، وبُعدًا أساسيًا من أبعاد سوائها . فإذا اضطرب هذا الإدراك واختل اضطربت تبعاً لذلك علاقة الشخصية بعناصر هذا الواقع ، وفشلت في التعامل معه [٢]. وهو ما يفسر تصرفات الدكتور "سيمون ".

فـ"سيمون" يقرر أن يحول السراية التي يعيش فيها مع زوجته "دونا" إلى مستشفى للأمراض العقلية ؛ يعالج فيها هؤلاء المجانين الخطرين ، مفاجئًا زوجته "دونا" التي لم يأخذ رأيها أو يخبرها، ويطلق عليها :"السراية الخضراء" ، وكأنها تعيد إنتاج الإنسان مرة أخرى في ظروف أفضل، وهو ما اعتقده "سيمون" وآمن به ، هذه الفكرة لم تكن فكرة "سيمون" وحده بل كانت تحت مظلة ودعم وموافقة مجلس المدينة ،فـ"سيمون "لم يقرر وحده سرعة معالجة هؤلاء المجانين ولكن المجلس نفسه هو الذى يسعى لتحسين الحالة النفسية والعقلية لهؤلاء المجانين بإخضاعهم للتجارب العلمية ، التي يعتقد "سيمون" أنه يُنظِّر لها ويحاول إثباتها بتطبيقها على هؤلاء المساكين .

بروفير : يبقى الباستيل لازم يتهد لامحالة

ساويرس: هما الناس دول مالهم ومال الباستيل يا جدع انت ..انت تعرف تخش فرنسا عشان تهد الباستيل؟

بروفير: مش قصدي فرنسا يا دكتور ساويرس .. وبعدين ماتضحكش على الناس عشان صاحبك .

ساويرس : صاحبي وصاحبك على القهوة يا حلاق الزمان .

بروفير : أنا أصلي مسمي خرابة صاحبك باستيل العقل البشري. [١]

فـ"السراية الخضراء" هي مشروع "سيمون" تحت رعاية مجلس المدينة ؛ لذا فقد اكتسب المشروع الشرعية حتى لا تحوم حوله أية شبهات، وعلى الرغم من أن الكاتب لا بد وأن يختار المكان المسرحي المفترض الذي تدور فيه أحداثه المسرحية بشكل طبيعي، لما يحمل العديد من الدلالات الفكرية والرمزية، والتي تثير مشاعر وأحاسيس المتلقي؛ فقد نجح "سعيد حجاج" في اختيار اسم "السراية الخضراء" كمكان لعلاج الحالات المرضية النفسية والعقلية ، وهي في ذات الوقت المعادل الموضوعي للسجن، كمكان واقعي لإيداع كل من تسول له نفسه ويحاول أن يعارض السلطة الأعلى ، فـ"السراية الخضراء" تشبه السجن كمكان يدل على القوة والسيطرة وما يفرضه من خضوع وإذعان وعزلة .

والاهتمام بتجهيز هذا المكان لاستقبال الحالات المرضية ، يدل على أهميته وسطوته في ذات الوقت ، ف"سيمون" يعتقد أنه عالم كبير يحاول أن يثبت صحة نظرياته، الواحدة تلو الأخرى؛ لذا يستخدم نزلاء السراية كحيوانات تجارب ،دون أن يكون لهؤلاء البشر رأي أو دور

[١] سعيد حجاج، عيش السرايا ونصوص أخرى، **مرجع سابق**، ص ٦٧.

في تقرير حياتهم ومصيرهم . فالاستبداد والاستغلال الذي يتعرض له هؤلاء المجانين على يد "سيمون" هو كناية عن الاستغلال الأكبر لهم من جانب مجلس المدينة .

وهو ما أكدته أحداث المسرحية ،من بدايتها حتى نهايتها؛ فالسلطة أو الطبقة الحاكمة هي التي ساعدت "سيمون" حتى يحصل على الدكتوراه ،من خلال بعثته العلمية، وهي التي هيأت له الظروف والإمكانات المادية والعينية، حتى يستطيع أن يثبت صحة نظرياته العلمية بتطبيقها على البشر، فالكاتب يُقر - من خلال حوار "ساويرس" و"بروفير"- أن "السراية الخضراء" ماهي إلا سجن مُقَنَّع شبيه بسجن الباستيل في فرنسا.

ومن المتعارف عليه أن مصطلح "السراية الصفراء" -بلغتنا الدارجة- يطلق على المكان الذي يتجمع فيه الأشخاص المجانين بصفة عامة ،أما تسمية سراية د"سيمون" ب"السراية الخضراء" فهو يحمل أكثر من معنى ودلالة درامية ، أهمها أنها تختلف عما تعنيه "السراية الصفراء" وأن ما بها من نزلاء ليسوا جميعًا مجانين خطرين ، كما يدعي " سيمون" ،ولكن فيها العديد من الأشخاص الطبيعيين الذين يمارسون حياتهم بشكل طبيعي ، فضلًا عن أن الهدف من وجود هؤلاء المجانين هو تطبيق نظريات "سيمون" النفسية عمليًا، في محاولة لإثبات نجاحها وليس لعلاجهم ،كما يدعي " سيمون بكمارته "، وهو ما حدث مع العم "كوستا" الذي اعتقله الدكتور "سيمون" لمجرد أنه وهب ما يملك من مال لمساعدة المحتاجين وفعل الخير.

سيمون : سبق وقلت لك يا هانم .. العلم هو العلم وأنا ما أقدرش أسيب
واحد مجنون مطلق السراح .
ميرال : بس كوستا مش مجنون يا دكتور
سيمون : دا من وجهة النظر الشعبية المتعاطفة " انما العلم بيقول غير كدة
ميرال : بيقول نسجن واحد عاقل
سيمون: بيقول تجاوزات كوستا اتخطت حدود العقل
ميرال : كوستا لما ورث الفلوس من عمه وهبها لفعل الخير مش للشر
سيمون: يوهب ٤٠٠ ألف جنيه وهو يقعد شحات ؟؟" [١]

" فأفكار الطبقة الحاكمة في كل عصر هي الأفكار المسيطرة مثل فكرة أن الطبقة التي تمثل القوة المادية المهيمنة هي نفسها القوة الفكرية المهيمنة، والطبقة التي تملك وسائل الإنتاج المادية تحت تصرفها لديها القدرة على التحكم في وسائل تكوين العقل ؛ لذا ومن جراء ذلك فإن أفكار أولئك الذين يفتقدون وسائل تكوين العقل خاضعون بشكل عام لمن يمتلكهم " [2]

ومع قيام الثورة الأولى بقيادة الحلاق "بروفير" على مجلس المدينة ، ونجاحه هو ورفاقه في السيطرة على زمام الأمور وتوليهم مقاليد الحكم ،إلا أن المكان الوحيد الذي حرص الثوار الجدد أن يظل ثابتًا هو والقائم عليه "السراية الخضراء" ،حتى مع قيام الثورة الثانية وعودة أعضاء المجلس السابق إلى مقاعدهم مرة أخرى، كانوا أشد حرصًا على بقاء السراية وكذلك الدكتور" سيمون"؛ فهناك ارتباط وثيق بين المجلس و السراية الخضراء في البلاد .

---

[١] سعيد حجاج، عيش السرايا ونصوص أخرى، **مرجع سابق**، ص ص ٥٧ - ٥٨ .

[2] **Williams Raymond , " Marxism and literature ",(London: Oxford University Press , 1977), P.221 . .**

وعلى الرغم من أن "علماء النفس يؤكدون أن الصحة النفسية هي القدرة على التأرجح بين الشك واليقين ،لأن هذا التأرجح يمنح الإنسان المرونة ،فلا يتطرق إلى حد الخطأ ولا يتذبذب إلى حد الإحجام عن اتخاذ أي قرار " [١] إلا أن الدكتور "سيمون" لا يملك هذه القدرة ؛ فهو يصر دائما أنه على صواب فهو يثق في نظرياته العلمية ثقة لا تشوبها شائبة، بل يؤكد على ضرورة تطبيقها على أفراد المجتمع ،سواء أكانوا مرضى أم طبيعيين ، فـ"سيمون" دائمًا يؤكد ...دائمًا واثق ...دائماً مُصِرُّ على رأيه دون الاستماع أو الإنصات للطرف الآخر .

امرأة ١ : دي شوطه وهلت على البلد يا أختي

امرأة ٢ : كلب وسابوه على البلد . قعد ياكل ولادها ويتمزمز بيهم

رجل ١ : احنا نقدم التماس لجلالته يشيله هو وسرايته من هنا خالص ويريحنا منه ومن عمايله

رجل ٢: ده نص البلد في الزفت السراية يا جدع. [٢]

فـ"السراية الخضراء" كانت ملاذًا للعاقل قبل المجنون ، وهو ما يثير الكثير من التساؤلات والشكوك - في ذات الوقت- حول ماهية هذا المكان ، ولكن مع توالي الأحداث ، يتضح لنا أن هذا المكان هو المكان الوحيد الذي تحاول الدولة أن تُبقي عليه كما هو، بل وصل الحد إلى التفاوض مع د. "سيمون" بعد الثورة الأولى بقيادة "بروفير" الحلاق ، وهو ما أكده الكاتب من خلال الحوار القصير المتلاحق الذي يكثف من أهمية السراية ،كما أن له أكثر من دلالة أهمها أنه يدل على المنفى أو السجن ، فالأعداد داخل "السراية الخضراء" تتزايد يومًا بعد يوم بداعٍ وبدون داع. وهو ما أثار غضبة المجتمع ضد هذا المكان الغريب .

وتتشابه شخصية الدكتور "سيمون" - في جنوحها واختلالها الواضح - مع شخصية "الملك لير" لـ"شكسبير" حيث أكد " شاكر عبد الحميد" أن "شكسبير" - في "الملك لير"- يتعامل مع ملك مجنون يواجه ،عاريًا، اندفاعاته ودوافعه الشعورية واللاشعورية وقوى الطبيعة والمجتمع الذى قامت بتحديد قوته وأهميته، وقد اتفق معظم نقاد المسرحية على النظر إلى جنون" لير" باعتباره وسيلة لاكتشاف الذات وللوعي الجديد بالمعاناة والظلم السائدين في المجتمع".[٣]

فالكاتب - في تقديمه لشخصية "سيمون" - لم يجزم لنا في بداية المسرحية أن "سيمون" مجنون فعلًا ، ولكن ، مع تطور الأحداث ووضوح الشخصيات، يتأكد لنا أن "سيمون" شخصية مختلة تعاني خللًا واضحًا لا يتفق مع طبيعة النفس البشرية ، إلا أننا نتفاجأ أنه مجرد وسيلة من وسائل للسيطرة على معظم أفراد المجتمع ، بخضوعهم لتجاربه ، الواحدة تلو الأخرى، فهذه حالة اختلال واضحة سواء بالذات أو بالشخصية ، التي ينجم عنها تغير في وعي الشخص ، وفى سلوكه وتصرفاته مع الآخرين ،فهو لم يعد نفس الشخص السابق الطبيعي .وهو ما أكده حوار الأب" لويس" مع "سيمون" في مواضع متفرقة من المسرحية ، فالإدراك الصحيح للواقع المعيش بأبعاده الحقيقية يعد عنصرًا مهمًا للشخصية وبُعدًا أساسيًا من أبعاد سوائها .

---

[١] أحمد عكاشة ، **ثقوب في الضمير: نظرة على أحوالنا** ،(القاهرة : دار الشروق ،٢٠٠٩)، ص٨٧.

[٢] سعيد حجاج ، عيش السرايا ، **مرجع سابق** ، ص ص ٦٢-٦٣.

[٣] شاكر عبد الحميد ، **مرجع سابق** ، ص ٧٠.

كما تشير "أوبرسفلد" إلي أن "صعوبة تحليل الزمن في المسرح ، تنبع من تداخل معاني الزمن المتعددة ، وهذا الأمر يجعل من الزمنين مفهومًا فلسفيًا ، فالزمان في المسرح صورة للزمان التاريخي والزمان النفسي الفردي, وللعودة الاحتفالية يمكن إدراك الزمان المسرحي بواسطة التفصيلات النصية وما تؤديه من عمل في المسرح". [١]

وهو ما يفسر البنية الزمانية التي يمكن أن نلمحها من ثنايا النص المسرحي "عيش السرايا" ، بنية واضحة ، فالكاتب لم يحدد زمن الأحداث في الماضي أو الحاضر أو حتى إشار أنها قد تحدث في المستقبل ، وعلى الرغم من عدم تحديد الكاتب لزمن الأحداث ، إلا أن الإشارة إلى الزمن واضحة من خلال التقسيمات الخارجية والداخلية للنص المسرحي ،فالنص يتكون من عشرة مشاهد ، والانتقال من المشهد إلى المشهد الذي يليه يؤكد تغير الأحوال والظروف والملابسات، وتتطور الأحداث وتنكشف الشخصيات ،مما يؤكد تعمد الكاتب تجريد الحدث من الإطار الزماني حتى لا يرتبط بزمن معين أو حتى بفترة تاريخية محددة .

والمسرحية تبدأ بعودة الدكتور "سيمون" من بعثته العلمية واحتفاء المدينة ورئيسها بعودته ، ثم تتطور الأحداث بتغير المشاهد ودعم الدولة لمشروع "سيمون " تحت مظلة "السراية الخضراء"، ثم الثورة الأولى والثانية، كل هذه الأحداث تؤكد تطور الزمن ، فالزمن يتطور ويتغير ، وعلى الرغم أن تيمة "الجنون" هي التيمة الرئيسة في المسرحية ،إلا أن الكاتب تعمد أن تكون البنية الزمنية في المسرحية واضحة ومحددة، حتى يتسنى للمتلقي التعرف على طبيعة الشخصية وكيفية وصولها لمرحلة الاختلال العقلي "الجنون" وتطورها تطورًا منطقيًا يناسب طبيعة الأحداث والشخصيات .

نص "حفلة للمجانين" لـ"خالد الصاوي":

تتكون المسرحية من أربعة أجزاء متصلة تحوي اثنتين وعشرين شخصية ،غالبيتهم مرضى داخل مستشفى الأمراض النفسية التي تدور فيها أحداث النص المسرحي، وتبدأ بدخول المتفرجين إلى حديقة المبنى القاطن بداخله العرض ، وفى هذه الأثناء ينطلق المجانين في الحديقة وهم يتصرفون على سجيتهم ، كل مريض يحاول أن يفرض نفسه على المشاهدين ، وهو جزء صغير من واقعه المعيش داخل هذه المستشفى ثم الجزء الثاني الذي يوضح لنا إدارة هذه المستشفى ومن يقوم عليها من أطباء وممرضين وعمال .

يبدأ الكاتب بظهور شخصية "محمود" ، وهو طبيب نفسي حديث التخرج ، في حوار مبهم مع "وفاء" خطيبته ،ثم يتبعه الكاتب بحوار آخر يحاول توضيح الصورة أو الفجوة بين "محمود" و"وفاء" ، "محمود" بأوهامه وأحلامه البعيدة و"وفاء" بمحاولاتها المتكررة لمعايشته الواقع وتقبل الحقيقة ، ثم يعرض لنا "الصاوي" بقية شخوص الإدارة ،وفي مقدمتهم الممرضة "رجاء" ، والتمرجي "مرعي" ، والطبيب "سعد" ، الذي يُفاجأ بما يفعله "مرعي" و"رجاء" مع المرضى دون علمه . وفي الجزء الثالث يعرض لنا الكاتب خمس عشرة شخصية ، كل واحدة منها تعاني وتجابه ضغوطًا ومشاعر تختلف عن الآخرى ، خمسة عشر مريضًا نفسيًا تحتاج كل حالة منهم طبيبًا لمتابعة الحالة ومحاولة الوصول بها إلى تطور يساعدها على تقبل الواقع ،

[١] آن أوبر سفيلد ، **قراءة المسرح** ، ترجمة مي التلمساني ،(القاهرة :إصدارات مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي ، ١٩٩٤) ، ص ٩٤.

ومحاولة التعايش مع مثل هذه الصعاب والضغوط النفسية ، إلا أننا نجد أن الطبيب "محمود" نفسه -وهو حديث العهد بالمستشفى - يحتاج إلى طبيب يحاول علاجه .

أما الدكتور" سعد" ، فلا يختلف كثيرًا عن "محمود" ، في استسلامه للواقع وعدم محاولته لتغييره أو حتى تغيير من حوله والتعامل مع المرضى وكأنهم لا وجود لهم .وبذلك يكشف النص عن عنبر مجانين ، يحوى العديد من أنماط المرضى النفسيين الذين يعانون القهر والظلم والاستبداد داخل المستشفى كما كانوا يقاسون ويلاته داخل المجتمع .

يُفاجأ القارئ بوجود شخصية "سيد"، وهو شاب في العشرينيات من عمره كان يُعانى من الإدمان تم إيداعه في المستشفى للعلاج من الإدمان، ولكنه لم يستطع الخروج حتى بعد تماثله تمامًا للشفاء ،حتى يتمكن "مرعي" "ورجاء" من جني الأموال من أسرته مقابل رعايته داخل هذا العنبر .

وفكرة " الجنون" هي الفكرة الرئيسة في المسرحية ،فهي لا تقتصر على شخصية دون الأخرى ،غير أنها تتجلى بوضوح في بلورة الشخصيات الرئيسة في المسرحية ، وتمتد عبر الشخصيات جميعًا بحيث لا نجد شخصية يخلو نسيجها من هذه التيمة أو بعض أعراضها ، فإذا كان الجنون يشكل الخيط الأساسي في بناء شخصية هؤلاء المرضى ، فهو يشكل خيطًا ثانويًا في بناء العلاقة التي تربطهم بباقي شخصيات المسرحية .

فالجنون لم يقصره الكاتب على شخصية بعينها في هذا النص، فهو حالة عامة ، سحبها الكاتب على مفردات هذا النص .فعلاقة التمريض بالمرضى علاقة مريضة تصل إلى حد الجنون ،وعلاقة المرضى ببعضهم تؤكد هذا العالم المجنون ،حتى علاقة الطبيب الوحيد بهذا المستشفى بمرضاه - وهى علاقة غير قائمة من الأساس - هي ضرب من الجنون ، حالة عامة لا يمكن أن نقصرها على المرضى فقط ، وهو ما أجَّلَه الكاتب لنهاية النص، متمثلاً في حالة الفوضى التي عَمَّت المكان من قتلى وجرحى، بينما المرضى يمارسون حياتهم بشكل اعتيادي داخل هذا العنبر.

وهو ما يتفق مع ما أشار إليه "أحمد عكاشة" عن أحوال المرضى في مستشفى العباسية ، فتارة يُلقي اللوم على وزارة الصحة وتارة أخرى يلقي اللوم على المجتمع، حيث يقول " إن الأسر ترفض استرداد مرضاها بعد علاجهم ! وتبدأ القصة بأن مستشفيات الأمراض العقلية قد أنشئت - في أواخر القرن السابق- لعزل المرضى وليس لعلاجهم ، لأنه في هذا الوقت لم تكن الفرصة سانحة لوجود علاج متخصص لهؤلاء المرضى، ومن ثم، كان يتم عزلهم عن المجتمع لخطورتهم على ذاتهم وعلى المجتمع ، وكان ٦٠٪ إلى ٧٠٪ من نزلاء المستشفى لا يخرجون منه حتى الوفاة ، ومن هنا جاءت النظرة الخاطئة للمريض العقلي بأنه ميئوس منه". (١)

فمن الواضح أن الكاتب حاول أن يرصد حال المريض النفسي داخل مستشفى الأمراض العقلية ، وما يمكن أن يتعرض له من ضغوط داخلية ، فضلًا عن الضغوط الخارجية التي أجبرته على دخول المستشفى والبقاء بها ، فمن خلال حديث المرضى نتفاجأ أن المريض لا يخرج إلا في حالتين إما مقتولًا أو مُنتحرًا أو ينجح في محاولة الهروب من هذا السجن ، وهو ما

[1] أحمد عكاشة ، ثقوب في الضمير: نظرة على أحوالنا ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٦٥ - ١٦٦.

عرضه "الصاوي" - في بداية المسرحية - من خلال اللوحة الخامسة في الحوار بين أحد المرضى والممرضة "رجاء" والتي تحاول استدراج المرضى لغرفتها وقتلهم بمساعدة التمرجي "مرعي" فيبدو الحادث أنه انتحار.

الممرضة : إيدك ساقعة قوي .. ماتخافش ..أنا عاوزة أتكلم معاك ..أصل أنا لوحدي على طول، وبخاف بالليل انام لوحدي وبزهق لوحدي.

هو : وأنا كمان بخاف لوحدي .. وبزهق لوحدي (يتسلل التمرجي من خلف البرافان ، وفي يده كوفيه يقترب منهما .. يخنقه ، بينما تكتم رجاء أنفاسه وصوته .. لحظات مقاومة ثم يسقط صريعاً). [١]

فمن الواضح أن حالة المرضى - داخل هذا المستشفى- ميئوس منها ولا أمل في عودتهم مرة أخرى إلى حياتهم السابقة بأي شكل من الأشكال ؛ ذلك أنهم صيد ثمين ، يتاجر به حكام هذا المكان الحقيقيين ،أمثال "مرعي" و"رجاء" ، دون علم الإدارة وعلى رأسهم مدير المستشفى الدكتور "سعد" ،الذي يعاني الفراغ والوحدة داخل هذا المستشفى ،فكل هذه الحالات المرضية المتعددة لا تجد من يرعاها ولا يسأل عنها أو حتى يهتم بأمرها ، وهو ما يتضح من حوار الطبيبين " سعد" و"محمود" وهو يرحب به، حيث يلاحظ "محمود" وجود زجاجة خمر داخل حجرة "سعد "، وهو ما يبرره بالفراغ والممل الذي يدفعه إلى شرب الخمور، مما يؤكد أنه لا علاقته له بما يحدث داخل هذا المكان، خاصة عندما يرفض إبلاغ الشرطة عن حالة الانتحار التي حدثت في وجود "محمود" .

محمود : (في ذهول) ده انتحر .. حضرتك مش عاوز تكلف نفسك تليفون للمركز ؟ ..هو كلب؟

سعد : (تأثرا) سبع مجانين شنقوا نفسهم في شهر اتكلم في التليفون أقول إيه يابني آدم [٢]

فالدكتور "سعد" لم يكلف نفسه بالإبلاغ عن حالات الانتحار داخل المستشفى ،ويرفض أن يصغي لطلب" محمود" بالاتصال بالشرطة . فوجود الشرطة لا قيمة له ، فهم مرضى؛ مما يؤكد الاحتمال الأكيد أنهم من قاموا بالانتحار ومحاولة التخلص من حياتهم وإنهائها بطريقتهم .

فمع تزايد حالات الانتحار، لم يحاول الدكتور "سعد" معرفة سبب هذا الانتحار حتى يخلي مسئوليته المهنية ، فلم يعبأ بمن قُتِل؟ ولماذا قُتل؟ وكيف قُتِل؟ ؛ لذا كان الحكم عليه من قِبل هؤلاء المرضى في نهاية المسرحية بالقتل ، هو و"محمود".

فالمرض النفسي أو العقلي يمكن علاجه ويمكن الشفاء منه ، ولكننا تعودنا أو أيْقَنَّا أن المريض النفسي لا أمل في علاجه أو حتى الاهتمام به ؛ لذا يحاول د. "سعد" تناسي أنه طبيب وأن هناك حالات مرضية تنتظر منه المساعدة ، ولكنه يتعمد البعد ،بل والأدهى من ذلك ،أنه يعاني الملل والوحدة.

---

[١] خالد الصاوي ، حفلة للمجانين ، ١٩٩١ ص ١٩، **متاح علي :https://docs.google.com/file/** ، تاريخ الدخول :٢٠١٩/٢/٢.

[٢] خالد الصاوي ، حفلة للمجانين ،**مرجع سابق** ، ص ٢٦.

*يؤكد "أحمد عكاشة" من أن "المريض النفسي هو من أكثر المرضى تعرضاً للإهمال والعقاب والاستنكار النفسي ،وهي نظرة متخلفة لا توجد إلا في البلاد النامية .إن هذا المريض وُلد باستعداد وراثي خاص، ثم جاءت أحداث الحياة ، سواء في الأسرة أو في المجتمع؛ لتفجر هذا الاستعداد الكيميائي، أي إن المرض النفسي والعقلي مرض عضوي مصدره المخ. وعلاجه يكون بتنظيم الأسس الكهربائية والكيميائية في المخ للعودة للتوازن الطبيعي ".

وهو ما كشفه الشاب "سيد" ، الذي حاول مرارًا وتكرارًا أن يصل للدكتور "سعد" ويقنعه أنه تعافى من الإدمان حتى يساعده على الخروج من هذا المستنقع ،ولكن محاولاته باءت بالفشل مع وجود "رجاء "و"مرعي " اليد الخفية التي تتلاعب بمصائر هؤلاء المساكين ، وحتى مع قدوم الدكتور "محمود"، حاول "سيد" أن يخبره بحاله ووضعه، ولكن سطوة "رجاء" ومرعي حالت دون أن يصدق الطبيب "محمود" أن "سيدًا" شاب طبيعي لم يعان من أي مرض نفسي أو عقلي ، وأنه دخل المستشفى للعلاج من الإدمان فقط.

د.سعد: طبعاً فاكرك يا سيد ده سؤال .

سيد : فاكر أنا جيت هنا ليه؟

د. سعد : عشان تتعالج من الإدمان.

محمود : (هائجاً) يعني كنت عارف انه عاقل وحطيته في وسطيهم يامجرم

د.سعد : لا يامحمود ..انا كنت حاطه في أوضه لوحده

سيد : أوضتي اتعملت مخزن من زمان يادكتور

المهم تحب تعرف أنا بقالي هنا قد ايه

د. سعد: (محاولاً ان يتذكر) حوالي ١٤ شهر

سيد : لا .. ٨ أشهر. [١]

عندما احتجز المرضى الدكتور "سعدًا" و "محمودًا " داخل العنبر، للنيل منهما ورفضوا اعطاءهما مفتاح العنبر ،دار حديث طويل بينهم وبين هؤلاء المرضى كشف عن مدى إهمال د. سعد لهم وعدم اهتمامه بهم ـ أو حتى السؤال عن أحوالهم فضلًا عن عدم قدرتهم على مقابلته والتحدث معه في ظل وجود السجانين "رجاء" و"مرعي" - فالدكتور "سعد" أصابه الذهول عندما علم أن حالات الانتحار لم تكن إلا عمليات قتل ممنهجة من طاقم تمريض المستشفى ؛حيث تباع هذه الجثث لطلاب كلية الطب .

فالحقيقة التي أقرها الشاب "سيد "أذهلت الدكتور "سعدًا" وصدمت الدكتور "محمودًا ". فبدا بمثابة المرآة التي تعكس صورة كل شخص في هذا النص بأبعاده الواقعية أو الحقيقية التي يحاول أن يطمسها أو حتى يتنصل منها خاصة الإدارة.

فالحقائق ـ التي غابت عن الدكتور "سعد" ـ بدأت في الظهور ـ الواحدة تلو الأخرى- حتى اكتملت الحقيقة أمامه ،بداية من محاولات "رجاء" "ومرعي" استدراج المرضى وقتلهم وبيعهم ،إلى وقوفهم حائط صد بينهم وبين التواصل معه كطبيب ،حتى أيقن أن هناك عصابة إجرامية منظمة هي من تدير هذا المستشفى ، وهوما كان من أهم أسباب وصول هذه العصابة لما وصلت له.

فـ"الصاوي" يجمع نماذج متناقضة من شاعر، وكاتب، إلى شاب بسيط، ورجل أعمال ، كأنه مجتمع مصغر مواز للمجتمع الخارجي تتعدد فيه الشخصيات المريضة مع تعدد وتباين شخصيات الإدارة وسماتهم النفسية، وهو ما قصده الكاتب من رسم صورة بانوراميه للمجتمع الحقيقي وما به من تناقضات واضحة .

---

[١] خالد الصاوي ، حفلة للمجانين ، **مرجع سابق**، ص١١٧.

فشخصيات النص خليط منوع وغريب، لكل منهم ميول أيديولوجية مختلفة ومتباينة عن الآخر ، وبرغم واقعية الشخصيات - خاصة المرضى منهم – فإنهم يستعرضون الحقائق من منظورهم الخاص ، في شكل منولوجات فردية أو حوارات مبتورة ، تشكل هذه المنولوجات والحوارات - في مجملها- "صورة كئيبة لمجتمع معتل ومشتت يعاني مخاض تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية عنيفة ويتمزق بين الماضي والحاضر ويتغلغل فيه الخوف ، كما يعج بالمتناقضات الفكرية ويستشرى فيه الفساد الأخلاقي والانتهازية الشرسة " [١]

وهو ما يتوافق مع ما كان يعرضه الكاتب "وليم شكسبير" من شخصيات تعانى "الجنون" فى مسرحيات هاملت والملك لير وماكبث فهو لم يقصد "الجنون" في بعده المرضى بقدر ما كان يوظفه كمرآة تعكس شخصياته المعيبة وكذلك مجتمعهم المضطرب باعترافاتهم وعرضهم لحقائق عن أنفسهم وعن مجتمعهم فالمجتمع لابد له من قيادة أكثر حكمة واستقرارًا كى تحل محل القيادة غير المستقرة "[٢]

ففشل هؤلاء المرضى في التواصل مع إدارة المستشفى وكذلك الدكتور "سعد" وحتى فيما بينهم يؤكده فشل الطبيبين "سعد" و"محمود" في ادارة هذا المكان فالمعاناة في النص لم يقصرها الكاتب على المرضى فقط !! فلكل واحد من هذه الشخصيات عالمه الخاص الذى يحيا فيه بعيدا عن عوالم الشخصيات الأخرى وهو ما يؤكده "محمد عناني" من أن "الحدث الباطن لا يسير في إطار خطي نحو الذروة ،ولكنه يدور في أنصاف دوائر تتكون كل منها من لحظة تقابل بين إحساس و إحساس، أو بين فكرة و فكرة , بحيث لا تتقدم مع الحدث زمنيا ،أي إنها لا تشير نحو نقطه زمنية محددة ، بل تدور مع المشاعر و الأفكار لتعود إلي نقطة البداية، ثم تسير ثانيا في دورة جديدة لتعود مرة ثانية إلي نقطة البداية و هكذا... ".[٣]

فنهاية المسرحية لم تكن غريبة أو غير متوقعة ، ولكنها نهاية منطقية لما سبق من مقدمات غير معقولة أو مقبولة ،فنحن نتطلع إلى طبيعة هذه الشخصيات ،من خلال ستار من الضباب ، ما يفتأ يكشف عن بعض مكنوناتها حتى تكتمل الصورة وتتضح أمامنا، ويتيقن كل من د. "سعد" و"محمود" أن هذا العنبر ما هو إلا صورة مصغرة من عالم أكبر، ما هو إلا جزء من الجنون الكبير الذي يسيطر علينا ويتحكم بنا ، فالأمراض النفسية أو حتى العقلية "هي أمراض نعاني منها جميعاً ولا ندرك أننا مرضى وأن بداخل كل منا بذور هذه الأمراض ،ولكننا قد تعلمنا أن نحيا بها ، أي أن نتقبلها ولا نلتفت إليها ، بل إن من يلتفت إليها قد تشتد حالته ويضطر في النهاية إلى اللجوء إلى الطبيب ، وربما دخول المصحة أيضاً" [٤]

(يضاء المسرح لأول مرة بشكل واضح منذ بداية الجزء الأخير ...حسين مشنوق في الخلفية .. محمود وسعد وسيد وعلي على الأرض قتلى ..حسن وسمير وحسني وسلمان وناصر

---

[١] نهاد صليحة ، **تأملات مسرحية** ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠١٥)، ص ص ١٢٨-١٢٩.

[٢] DOROTHY F. GILGENBACH: **"SHAKESPEARE'S MADMEN: A DIAGNOSIS OF INSANITY IN HAMLET, KING LEAR, AND MACBETH**",(DOTHAN :Troy University, 2011)

[٣] محمد عناني، من قضايا الأدب الحديث ، **مرجع سابق**، ص٣٦٠.

٤ **المرجع السابق** ، ص ٣٦٧ .

وزكريا والحاج ربيع وسامي يتجهون ناحية الباب .. عصفور وسعيد يسيران في تثاقل خلفهم). [١]

والكاتب يعرض لنا العديد والعديد من أنماط المرضى - نزلاء المصحة العقلية - فيجسد صراعاتهم ، التي تكشف لنا عن بقايا شخصيات تحاول الهروب من ماضيها الأليم ، وتجسد معاناتهم النفسية الداخلية والخارجية بصورة ديناميكية تساعدهم على التكيف مع واقعهم الجديد الذي فُرض عليهم دون أية خيارات أخرى، إلا أنهم يصدمون بعالم أكثر غلظة وقسوة عليهم من عالمهم السابق، عالم لا يعرف الرحمة أو الشفقة، فهي معاني سقطت سهوًا من القاموس الإنساني لديهم .

حتى محاولاتهم القليلة لاستعادة حياتهم وتصالحهم مع ذواتهم تنتهي أيضا بالفشل ، بل بكارثة محققة ،تؤكد أن الجنون هو سيد هذا العالم ،هو حاضره ومستقبله ،فالشخص الوحيد العاقل " سيد " قُتل دون ذنب يُذكر سوى أنه طالب بالخروج من هذا المستنقع العفن ،حتى لا يجره إلى الهلاك، قُتل مع الدكتور "سعد" والدكتور "محمود" - وهم الأمل الذي ينتظره المريض والسبيل الوحيد للخروج من هذا المكان القميء - وتبقى الإدارة كما هي، بـ"رجاء" و"مرعي" وعامل المستشفى ،على قمة الهرم ،تتحكم في القاعدة العريضة ، سواء المرضى أو حتى الأطباء .

ارتبط الجنون ارتباطًا وثيقًا- في هذا النص- بفكرة التمرد والثورة فكل مريض له حكاية والحكاية تحوى الكثير من الحقائق التي عايشها وعانى ويلاتها ودخل المستشفى ، بسبب إيمانه بها وصراعه من أجلها. فكل شخصية - من الشخصيات داخل هذا العنبر- عانت القهر والظلم والسيطرة ،سواء من الناحية الاجتماعية أو حتى الإنسانية؛ لذا كانوا في أشد الحاجة إلى التعبير عما عانوه وعما يجول في نفوسهم ، وتلاقَى هذا الشعور للتأكيد على ما يعايشونه مع أمثال "مرعي" و"رجاء" أو حتى إهمال الدكتور "سعد" ، فكانت فكرة الثورة - التي توافق عليها الجميع وأيدها بشدة كل فرد يحاول أن يثور أو يتمرد على ما كان- سبباً في الزج به إلى هذا السجن الكبير .

التي يتوهمون أنها فعلًا مستشفى تعالج وما هي إلا سجن كبير ، به أكثر من سجان وجلاد يحاولون بكل الطرق والوسائل تجريدهم من إنسانيتهم وأدميتهم؛ حتى أصبحوا يسوقونهم كالحيوانات، والفرق الوحيد أن الحيوان يجد من يحنو عليه ويترفق به ، أما داخل هذا المستشفى فهم يعانون ويلات جديدة لا تختلف كثيرًا عن سابقتها وكأنها- المستشفى - المحرقة التي يتخلصون فيها من نفايات المجتمع .

ناصر : أنا رأيي باعتباري نزلت الشارع ونزلت للجماهير وأصبحت أحد عناصر الثورة المسلحة وباعتباري ناقداً أديباً وأستاذ للنقد الفلسفي أن الثورة يجب أن تكون موجهة أولاً ضد الأفاقين والمدعين وكل إنسان لا يراعي ثقافة الإنسانية وإنسانية الثقافة كل إنسان يتهجم على أفكار الإنسان .

حسن : أيها الإخوة لا داعي للصراعات الجانبية الثورة مازالت في البداية .

زكريا: الثورة ليست تطريز وردة. [١]

---

١ خالد الصاوي ، حفلة للمجانين ، **مرجع سابق** ، ص ١٨٠.

ففكرة الثورة كانت كبارقة أمل جديد لهؤلاء المشتتين المهلهلين نفسيًا وعاطفيًا واجتماعيًا ، كأنها قارب النجاة الذي لابد وأن يلحق به الجميع ؛ ليصلوا إلى بر الأمان ؛ لذا كان عليهم التخلي عن بعض المشاحنات والخصومات التي كانت تفرق بينهم .

حسني: أحسن جيوش في الأمم ..وقت الشدايد تعال شُوفنا ..، ساعة ماتلمح جيش الأعادي " نهجم ولا أي شيء يحوشنا. [٢]

وكأنهم تجمعوا للمحاربة والدفاع عما تبقى منهم أمام إجرام هذه المؤسسة ، مطالبين بجثة زميلهم المقتول "عبد الله"، والقصاص من القتلة "رجاء" و"مرعي" وكذلك الطبيبين "سعد" و"محمود" ، فهم في قمة غضبهم وعنفوانهم ،الذي لم يكن يتخيله الطبيبان ، وأن الأمور قد تصل إلى هذا الوضع المعقد ؛ لذا كانت فكرة الثورة هي ملاذهم الأخير واختيارهم الأقوى لمحاولة الخلاص من هذا المكان وفيمن فيه.

والجديد -هنا- أن المجانين هم من قاموا بالثورة ،وكأنهم العقلاء الواعون الذين يقومون بالثورة أو يثورون على فئة أقل منهم عقلًا وكفاءة ووعيًا ، وهو ما أراد المؤلف أن يكشفه في نهاية النص المسرحي .

نتائج الدراسة والإجابة علي تساؤلاتها :

١- على الرغم من اختلاف المعالجات الدرامية لفكرة "الجنون" في النصوص المسرحية محل الدراسة والبحث ، إلا أن الدراسة أثبتت قدرتهم الفنية وجدارتهم الدرامية في بلورة فكرة "الجنون" كفكرة رئيسة ؛ لعرض أفكارهم وقضاياهم على اختلاف اتجاهاتها ومعالجاتها المسرحية ، مع تعدد الاشكال الفنية لهذه النصوص سواء أكانت فكرة رئيسة أو فرعية في المسرحية . وفكرة "الجنون" في النصوص محل الدراسة لم تقتصر فقط على شخصية محددة أو مجموعة من الشخصيات، بل أثبتت نتائج الدراسة أن فكرة "الجنون" انسحبت على كثير من المواقف والأحداث بصورة غير مقبولة لا يستوعبها أو يتقبلها العقل والمنطق ، وأن الجنون هو أكثر الثيمات اتساقًا وتعبيرًا عن حالة الخلل التي تجتاح المجتمع.

٢- من أهم الأسباب التى دفعت الكتاب لتناول فكرة "الجنون" وهي في ذات الوقت أهم أسباب الجنون في النصوص المسرحية منها: - المعاناة النفسية والاجتماعية الشديدة التي قد يتعرض لها الفرد داخل المجتمع ، أو حتى مجموع الأفراد في بعض المجتمعات من تعرضهم للظلم والأستغلال، وعدم قدرتهم على مواجهة تحديات وصعوبات الحياة ، وصلت في بعض النصوص إلى حد الإذلال ، وليس أدل على ذلك من الحكم على الشخصية في نص "سوق الكلمات "بالجنون ونبذها علنًا من جانب "شاه بندر المؤلفين"الذى يتحكم في سوق الكلمات .

- الفوضى والاستبداد المتمثل في الفساد الإداري وعدم تحمل المسؤولية المهنية كما في "حفلة للمجانين " .

---

[١] خالد الصاوي ، حفلة للمجانين ، **مرجع سابق** ، ص ص١١١ - ١١٢.

٢ **المرجع السابق** ، ص١١٢.

- السيطرة على المجتمع وأفراده بطريقة علمية منظمة ، معتمدة على العلم بنظرياته وكذلك علمائه بإخضاع الناس بإرادتهم أو رغمًا عنهم لمثل هذه التجارب كأنهم حيوانات لا فرق بين مريض وسوى كما في نص "عيش السرايا" .

- الصراع النفسي بين إرضاء السلطة الأعلى وتنفيذ رغباتها ، وبين الحقيقة والإقرار بالواقع الفعلي ، ففي هذا الإقرار بالواقع ما يُعرض الكثير منا للعقاب الذي قد يصل إلى دمار الفرد والأسرة ، وهو ما رصده "هشام السلاموني" في نص " العدو في غُرَف النوم " من معاناة الدكتور "فاضل" بين ضميره وقسمه الطبي من جانب وبين ما ترغب فيه السلطة الأعلى وتؤكد عليه ، من جانب آخر.

- الحب ، الذي دفع الملك "هيرود" لأن يقتل "يوحنا المعمدان"كما فى نص "سالومي" ويقدم رأسه على طبق من فضة لمعشوقته "سالومي" - ابنة زوجته الملكة "هيروديا‌س"؛ فهو خرق لقوانين الطبيعية والمنطق ، الذي بدأه "هيرود" بدعوة "سالومي" للرقص عارية أمامه وأمام ضيوفه ؛ ثم الخضوع لرغباتها الجامحة للانتقام من "المعمدان" بقتله.

- المجتمع المتناقض المعتل ، الذي لا يقدر قيمة الذكريات، ولا يرى سوى المصلحة الشخصية ،كما في نص " مجنون لوحده ".

٣ - تعددت أشكال الجنون في النصوص - محل الدراسة - والتي يمكن أن نحصرها فيا يلي :

أولاً: "الجنون" الحقيقي المرضى : وهو يتضح في جنوح الشخصية واختلالها من خلال تصرفاتها وسلوكياتها غير السوية ، فشخصية الدكتور "سيمون بكمارته" - في "عيش السرايا " - من أكثر الشخصيات التي يمكن أن ننعتها بالجنون ، ومعظم مرضى "حفلة للمجانين " كانوا بالفعل يعانون من اضطرابات نفسية شديدة ماعدا الشاب "سيد" .

ثانياً: التظاهر بـ"الجنون" : الذى تمثل في شخصية الملك "هيرود" في " سالومي " ، بكثرة حركاته وتورياته وتلاعبه بالألفاظ ، تنفيساً عن مشاعر وانفعالات عنيفة تتصارع بداخله، كشكل من أشكال التخفيف الانفعالي .

ثالثاً: الإجبار على "الجنون" : كوسيلة دفاعية من بطش واستبداد الأقوى ، فالمؤلف – في "سوق الكلمات"- يخضع لقرارات "شاه بندرالمؤلفين " ويرضى بـ"الجنون" مصيرًا له ، لأنه لا يقوى على مجابهتها ، أما المهندس "عاصم" - في "العدو في غرف النوم" ، فتحاول السلطة الأعلى بشتى الوسائل والطرق وصمه بالجنون بإيداعه مستشفى الأمراض النفسية ؛ للتخلص منه .أما في " مجنون لوحده" فما حدث مع الأستاذ" تحسين" ومحاولاته المستميتة في الدفاع عن البيت الكبير وما يحمله من ذكريات انتهت بوصمه بالجنون وضرورة إيداعه المصحة النفسية .

٤-اختلفت فكرة "الجنون" من نص إلى آخر: وذلك تبعا لاختلاف المؤلف والظرف التاريخي المرتبط بالفكرة والهدف من تناول "الجنون" ، إلا أن معظم هذه النصوص كان رابطها خيطا رفيعا ، تمثل في فكرة الثورة والتمرد ، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ففكرة الثورة كانت ملازمة لتيمة الجنون ، خاصة في نص "عيش السرايا" ، فالثورتان الأولى

والثانية قامتا من أجل التخلص من الطبيب "سيمون بكمارته" وسرايته الخضراء التي حصدت معظم رجال المدينة، أما "حفلة للمجانين" ، فقد حاول المرضى الثورة على العصابة التي تتحكم فيهم والمتمثلة في الإدارة ، وبالفعل كانت النتيجة قتل العقلاء الثلاثة في المستشفى، وكأنهم بذلك قطعوا كل الخيوط التي كانت تربطهم بالعالم من حولهم.

كذلك مسرحية "سوق الكلمات" والتي تضافرت فيها جهود الكاتب والشخصيات للوقوف أمام سطوة وسلطة "شاه بندرالمؤلفين" الذي يتحكم في سوق الكلمات دون مراعاة لأية حقوق لهؤلاء الذين يتكون منهم السوق؛ حتى أن الكلمات – نفسها – ثارت وتمردت على الظلم والاستبداد .

أما نص "سالومي" فقد ارتبطت فكرة "الجنون" فيه بالثورة ، ولكن بطريق مباشر ، فتصرفات الملكة "سالومي" وقبلها "هيرود" زوج أمها "هيروردياس" كانت دافعاً لثورة الناس والطبيعة عليهم وعلى تصرفاتهم وسلوكهم وممارساتهم غير المقبولة أخلاقيًا.وذلك نفس ما حدث في "العدو في غرف النوم" ، عندما استغل "عاصم" شخصية "البراجني" الأولى، كي يعلن للرأي العام ما يحدث أو ما حدث معه جراء مواجهته لهذه الدبابات ووصولها إلى غرف النوم الخاصة محاولا تحذير الناس وحشدهم لمجابهة مثل هذه الأفعال.

٥- تعددت دلالات العنوان وعلاقته بفكرة الجنون في النصوص - محل الدراسة - فعلى الرغم من أن فكرة الجنون قد تكون الفكرة الاساسية لبعض النصوص أو الفكرة التي تربط بين هذه النصوص إلا أن مدلول **عناوين بعض هذه النصوص ليست واحدة** ، فبعض العناوين تتسم بالوضوح والصراحة وتفصح عن ماهية النص المسرحي دون مواربة ، فبعض الكتاب يعتمدون - في بلورة العنوان- على بعض المصطلحات أو المفردات التي تكشف عن بعض مكنونات هذا النص أو سمات شخوصه الدرامية ، منها" مجنون لوحده " " حفلة للمجانين " "وعيش السرايا" ، أما "سوق الكلمات" "والعدو في غرف النوم" ، فالكاتب لم يذكر مصطلح الجنون أو لفظ يدل عليه ، لذلك فالعنوان يكتنفه الكثير من الغموض والغرابة في ذات الوقت مما يدفع بالمتلقي للتساؤل عن ماهية " سوق الكلمات" ، أو هل هناك أعداء فعلا في غرف النوم ؟ ، أما "سالومي " فهي مسمي محايد .

٦- أغفلت بعض النصوص التي تناولت فكرة "الجنون" بصورة واضحة مباشرة البنية الزمانية أو تحديد الزمن الواقعي سواء من خلال العنوان أو الأحداث ، فالكاتب لم يحدد زمن الأحداث في الماضي أو الحاضر كما لم يقدم أية إشارة تُظهر أنها قد تحدث في المستقبل، إلا أن بعض التغيرات الزمنية يمكن أن نلمحها من ثنايا النص ، من خلال التقسيمات الخارجية والداخلية للنص ، فالكاتب تعمد تجريد الحدث من الإطار الزماني حتى لا يربط الأحداث بزمن معين أو فترة تاريخية محددة : منها "عيش السرايا"، "سوق الكلمات" ، "حفلة المجانين" و "العدو في غرف النوم" ، أما في "سالومي " فقد حدد الكاتب الإطار الزمنى للنص بالزمن التاريخي لهذه الحادثة ، وعلى الرغم من هذا الاختلاف في بلورة البنية الزمنية إلا أنها اتفقت في سمة التداخل بين الماضي والحاضر في بعض النصوص.

٧- أظهرت الدراسة وجود علاقة قوية بين فكرة "الجنون" والبنية المكانية: فتنوعت الأماكن وتعددت ودلالاتها في النصوص محل الدراسة ، والتي أكدت - بطريقة أو بأخرى-

جدلية العلاقة بينها وبين "فكرة" الجنون، فهناك أماكن واقعية ذات دلالات رمزية - منها أحداث "حفلة المجانين"، "العدو في غرف النوم "و"عيش السرايا" وقعت داخل مستشفى الأمراض النفسية والعصبية ، من بداية الأحداث حتى نهاية المسرحية ، فطبيعة المكان ومسماه تنافت تماماً مع ما يحدث فيه، فتحول المكان من مستشفى إلى سجن كبير لا يفرق بين مرضى وأسوياء ولا أمل في الخروج منه ، أما مسرحية " سوق الكلمات" ، فاعتمدت على أماكن وهمية ذات دلالات فنتازية ، تمثلت في سوق الكلمات وما به من مؤلفين وشخصيات مكتوبة أو شخصيات حائرة تبحث عن من يكتبها .

وهناك أماكن واقعية ذات دلالات رمزية ولكنها لم تكن داخل مستشفى الأمراض النفسية - وإن تشابهت دلالة المكان- ففي " سالومي " دارت الأحداث داخل أحد القصور التي تشبه المنفى أو السجن الكبير ، والذى لا يمكن الهروب منه ومن القدر المحتوم ، كذلك نص " مجنون لوحده" الذى يحدد فيه الكاتب المكان متمثلا في البيت الكبير، وما يحمل من ذكريات هامة لصاحبة الأستاذ تحسين ..

٨- ارتبطت فكرة "الجنون" بالشخصية الرئيسة في معظم النصوص-محل الدراسة- فكانت شخصية الدكتور "سيمون بكمارته" هي الشخصية الرئيسة في "عيش السرايا" ، التي تتقدم شخصيات النص ، وتعد حجر الزاوية وهى الرابط الذى يربط بين الشخصيات ، ومحورالصراع وتطور الاحداث، أما شخصية الأستاذ "تحسين" هي الشخصية الرئيسة في " مجنون لوحده" التي ارتبطت بها سمة "الجنون".

أما في "سالومي" ، فقد كان الملك "هيرود" و"سالومى" هما من يحركان الأحداث ويدفعان بها إلى حافة الهاوية ، بينما ارتبط الجنون في "سوق الكلمات" و"العدو في غرف النوم" بواحدة من الشخصيات الرئيسة ، في حين لم تكن هناك بطولة فردية في "حفلة المجانين" بقدر ما كانت البطولة جماعية يتصدرها المرضى المجانين .

٩- على الرغم من فكرة "الجنون" قد تكون الفكرة الأساسية في بعض النصوص المسرحية ، إلا أن الكاتب لم يقصد "الجنون" في بعده المرضي بتناول أعراضه وأنواعه وأسبابه بقدر ما كان يقصد به المعاناة النفسية والاجتماعية لأفراد المجتمع ، سواء فيما يتعلق بالشخصيات أو بالأحداث والمواقف الدرامية المختلفة ، وهو ما أكدته بعض النصوص محل الدراسة ، فـ"الجنون" لا يقتصر على فرد بعينه، فقط ولكنه حالة عامة تربط بين مفردات النص المسرحي ، وليس أدل على ذلك من أحداث " حفلة للمجانين" ،" مجنون لوحده" ، " العدو في غرف النوم " و عيش السرايا ".

المصادر :

١- أحمد صلاح صقر، **سوق الكلمات**،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧).

٢- خالد الصاوي ، حفلة للمجانين ، ١٩٩١ ، **متاح علي https://docs.google.com/file:**

٣- سعيد حجاج ، **عيش السرايا ونصوص أخرى** (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠١٦).

٤- عرفة محمد ، **مجنون لوحده** ،(القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣).

٥- محمد سلماوي ، **مسرح محمد سلماوي المجلد الأول :النصوص المسرحية** (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٤).

٦- هشام السلاموني،**العدو في غرف النوم**،(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٥).

٧- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين** ،مادة (ج ن ن).

٨- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ج ن ن).

المراجع

١- أحمد عبد الخالق ، **أسس علم النفس**، ط ٤(القاهرة : دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٦).

٢- أحمد عكاشة: **ثقوب في الضمير:نظرة على أحوالنا** (القاهرة:دار الشروق ،٢٠٠٩).

٣- سماح حكواتي ، **تجليات الجنون في الحضور والغيات الموقف الأدبي**، اتحاد الكتاب العربي ، العدد ٤٩٢ مجلد ٤١ إبريل ٢٠١٢ .

٤- شاكر عبد الحميد ،**الأدب والجنون** (القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة ،١٩٩٣).

٥- عبد المنعم خفاجي ، **مدارس النقد الأدبي الحديث** ،(القاهرة :الدار المصرية اللبنانية ،١٩٩٥).

٦- صبري محمد خليل ،الجنون بين المفهومين الدارج و العلمي ، ٢٠١٥/٦/١٧، **متاح علي : https://drsabrikhalil.wordpress.com**، تاريخ الدخول :٢٠١٩/٥/٣.

٧- فرج عبد القادر طه، **موسوعة علم النفس والتحليل النفسي** ، ط١ (القاهرة : الأنجلو المصرية ٢٠٠٩).

٨- _____ ، **علم النفس وقضايا العصر: مقالات وبحوث مجمعة** ،(القاهرة : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،١٩٩٩).

٩- فيصل ابو الطفيل ، **الحمق والجنون في مرايا الأدب العربي القديم : السمة المفارقة لبلاغة العقل المعكوسة** ،(الرباط : المجلس الأعلى للغة العربية ، ٢٠١٨).

١٠- مجدى محمد الدسوقي، **دراسات في الصحة النفسية** مجـ١،(القاهرة : الانجلو المصرية، ٢٠٠٧).

١١- محمد سلماوي ، **مسرح محمد سلماوي المجلد الثانى: كتابات نقدية** (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٤).

١٢- محمد عناني ، **من قضايا الادب الحديث**،(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥).

١٣- نهاد صليحة ، **عن التجريب سألوني** ،(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨).

١٤- _____ ، **تأملات مسرحية** ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠١٥).

١٥- **مقابلة مع** أ.د حمدي المليجي ، أستاذ علم النفس التربوي بكلية التربية جامعة طنطا ، بمكتبه ، بتاريخ ٢٠١٩/٥/٢.

16- Williams Raymond , "**Marxism and literature**", (London & Newyork: Oxford University Press , 1977), P.221

17- **Scott** Matthew Wallin, "Madness in the Making: Psychosocial Disability and Theater", **Unpublished PHD**. (Berkeley :University of California, 2014).

18- Dorothy F. Gilgenbach: "**Shakespeare's Madmen: A Diagnosis Of Insanity In Hamlet, King Lear, And Macbeth**",(Dothan :Troy University, 2011)